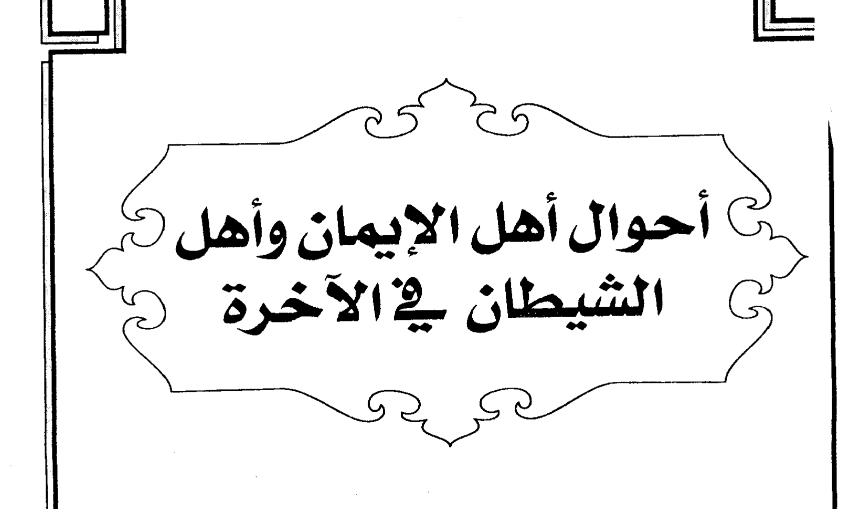


أحوال أهل الإيمان وأهل الشيطان في الآخرة

السعيد أبو رية

الناشر
مكتبة الإيمان - بالمنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا إنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ولن تجد له من دون الله وليًّا مرشدًا وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة وكشف الله به الغمة وعبد الله حق عبادته حتى أتاه اليقين.

وبعد...

إنني بمشيئة الله وعونه سوف أبين في هذا الكتاب أحوال كل من أهل الإيمان وأهل الشيطان في الآخرة لنقف على مآل كل من الفريقين، ومنتهاه، ونتعرف على مصير وعاقبة كل منهما، لنأخذ من أحوالهما العبر والعظات التي تعيننا على طاعة الله.

والإنسان متى عرف مآل أهل الإيمان في آخرتهم وما يلحقهم من النعيم المقيم، وما يحل عليهم من رضا الله ورضوانه، ومآل أهل الشيطان، وما يصيبهم في آخرتهم من العذاب الأليم وما يحل عليهم فيها من سخط الله وعقابه، كان ذلك أبلغ في زجره عن طاعة الشيطان، ودافعًا به على مقاومته، واجتناب كل عمل يدعو إليه وحافزًا له على أن يسلك مسلك أهل

الإيمان ويسير في دربهم ويعمل عـملهم، فينزل منازلهم، ويرتقي درجاتهم.
ومن المعلوم أن الإنسان تبدأ آخرته منذ موته ومفارقته الدنيا، يقول رسول الله (ﷺ): «**إن القبـر أول منازل الآخرة، فإن نجـا منه فما بعـده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه**»[1]

ولذلك فإنـنا سنبين ـ بمشيئـة الله تعالى ـ أحـوال كل فريق في الحـياة البرزخية حياة القبور، ثم نتبع ذلك ببيان أحوالها في الحياة الأخروية حياة ما بعد البعث والنشور.

والله الموفق وهو يهدي السبيل

المؤلف

السعيد أبو رية السعدي شكر

كفر حسان ـ سمنود ـ غربية

---

(١) الترمذي (٢٣٠٨)، ابن ماجة (٤٢٦٧)، الحاكم (١/ ٣٧١)، عن عثمان بن عفان صحيح الجامع (١٦٨٤).

أحوال أهل الإيمان وأهل الشيطان في الحياة البرزخية

الحديث عن أحوال كل من أهل الإيمان وأهل الشيطان في الحياة البرزخية يتطلب منا تعريف البرزخ، والحياة البرزخية، وبيان الأدلة على ثبوت النعيم والعذاب في البرزخ، وما إذا كان العذاب والنعيم في البرزخ يلحق الروح والجسد معا، أم يلحق أحدهما دون الآخر، ثم نتبع ذلك ببيان أحوال كل من الفريقين في البرزخ، وأخيرًا بيان ما إذا كان عذاب البرزخ يلحق أهل الكبائر من المسلمين أم لا.

أولاً: تعريف البرزخ والحياة البرزخية:

البرزخ: هو الحاجز الذي يفصل بين الشيئين، قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا**﴾[1]، وقال (تعالى): ﴿**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ**﴾[2] أي بينهما حاجز يفصل كلا منهما عن الآخر لئلا يبغي العذب على الملح، أو الملح على العذب.

والبرزخ: القبر، وقيل من مات دخل البرزخ، وسميت حياة القبور: حياة البرزخ.

(١) الفرقان (٥٣)

(٢) الرحمن (١٩ ، ٢٠).

الحياة البرزخية: هي الحياة التي يحياها الإنسان في قبره وهي الحقبة الزمنية التي يمكثها الإنسان في القبر منذ موته وحتى بعثه، وفيها تنفصل الروح عن الجسد.

هذه الحقيقة الزمنية هي حاجز بين الحياة الدنيوية والحياة الأخروية، فيها يجمع الله أرواح خلقه، حتى إذا كان يوم القيامة أمر الله الأرواح أن تتزاوج مع الأجساد، فتعود كل روح إلى جسدها بإذن الله، ويقوم الناس لرب العالمين حيث الفصل والقضاء والجنة والنار.

ثانيًا: الأدلة على ثبوت نعيم البرزخ وعذابه:

هناك الكثير من الأدلة على ثبوت نعيم البرزخ وعذابه سواء في الكتاب أو في سنة رسول الله (ﷺ).

فمن أدلة الكتاب:

١- قوله تعالى عن عذاب آل فرعون في قبورهم: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ [١] فهذا إخبار الله (تعالى) أن آل فرعون يعرضون في قبورهم على النار، في الغداة والعشي إلى أن تقوم الساعة فإذا قامت الساعة أدخلهم الله أشد العذاب.

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره:

الجمهور على أن هذا العرض في البرزخ، واحتج أهل العلم في تثبيت عذاب القبر بقوله: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا**﴾ مادامت الدنيا[٢].

---

(١) غافر: (٤٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: (٨/٥٩٦٨).

وقال الرازي رحمه الله في تفسيره:

احتج أصحابنا بهذه الآية على إثبات عذاب القبر، قالوا: الآية تقتضي عرض النار عليهم غدوًا وعشيا، وليس المراد منه يوم القيامة لأنه قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ وليس المراد منه أيضًا الدنيا لأن عرض النار عليهم غدوًا وعشيا ما كان حاصلاً في الدنيا، فثبت أن هذا العرض إنما حصل بعد الموت وقبل يوم القيامة، وذلك يدل على إثبات عذاب القبر في حق هؤلاء، وإذا ثبت في حقهم ثبت في حق غيرهم لأنه لا قائل بالفرق [1].

٢- قوله تعالى مهددًا الكفار وزاجرًا لهم: ﴿كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[2].

فالكفار حين جاءهم الموت، وعاينوا الملائكة التي تقبض أرواحهم وعاينوا العذاب الذي سيحل بهم سألوا الرجعة إلى دار الدنيا كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۞ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ فزجرهم الله وهددهم بقوله: ﴿كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[3] وهذا من قبيل التهديد والوعيد كما قال تعالى: ﴿مِن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾[4] وقال تعالى: ﴿وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾[5]

٣ - قوله تعالى في المنافقين: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾[6] قيل في تفسير الآية: إن المراد بقوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم

---

(١) مفاتح الغيب: (١٣/ ٥٦٢). (٢) المؤمنون: (١٠٠).
(٣) المؤمنون (٩٩، ١٠٠). (٤) الجاثية: (١٠).
(٥) إبراهيم: (١٧). (٦) التوبة: (١٠١).

مَرَّتَيْنِ﴾ أن المرة الأولى عذاب يلحق بهم في دار الدنيا، والمرة الثانية عذاب يلحق بهم في القبر، ثم بعد هذا وذاك يردون في الآخرة إلى عذاب عظيم.

روى ابن جرير عن الحسن: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ قال: عذاب الدنيا وعذاب القبر.

وروى نحوه عن قتادة وابن جريج ثم قال بعد أن ساق أقوال أهل العلم في ذلك: في قوله (جل ثناؤه): ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾، دلالة على أن العذاب في المرتين كلتيهما قبل دخولهم النار والأغلب من إحدى المرتين أنها في القبر وقوله: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ يقول: ثم يرد هؤلاء المنافقون بعد تعذيب الله إياهم مرتين إلى عذاب عظيم، وذلك عذاب جهنم[1].

٤ - قوله تعالى في شأن أهل الكفر: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[2]

فهذا بداية ما يلحق أهل الشيطان من العذاب بعد مفارقتهم الدنيا، فالعذاب يلحق بهم بدءًا من معالجة الروح وإخراجها من الجسد، كما سيأتي بيانه في حديث البراء بن عازب الجامع لأحوال الموتى.

وقوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بالضرب يضربون وجوههم وأدبارهم.

يقول الحافظ ابن حجر: وهذا وإن كان قبل الدفن فهو من جملة

---

(١) جامع البيان: (١١ / ٩).

(٢) الأنعام (٩٣).

العذاب الواقع قبل يوم القيامة، وإنما أضيف العذاب إلى القبر لكون معظمه يقع فيه، ولكون العذاب الغالب على الموتى أن يقبروا، وإلا فالكافر ومن شاء الله تعذيبه من العصاة يعذب بعد موته ولو لم يدفن، ولكن ذلك محجوب عن الخلق إلا من شاء الله[١].

٥- قوله تعالى إخبارًا عن الشهداء: ﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[٢]

ففي هذه الآيات دلالة واضحة على أن الشهداء يتنعمون في حياتهم البرزخية؛ إذ قال الله: ﴿**أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ وقال: ﴿**فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ**﴾ وقال: ﴿**يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ**﴾ وهذا كله حاصل لهم في حياتهم البرزخية.

ومن أدلة السنة:

١- ما أخرجه البخاري وغيره عن أبي هريرة قال: كان رسول الله (ﷺ) يدعو: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال**»[٣]

٢ ـ وعن ابن عباس قال: مر رسول الله (ﷺ) على قبرين فقال: «**أما إنهما ليعذبان ومايعذبان في كبير أما أحدهما: فكان يمشي بالنميمة، وأما**

---

(١) فتح الباري: (٣/ ٢٧٥).

(٢) آل عمران: (١٦٩ - ١٧١).

(٢) البخاري (١٣٧٧)، مسلم (١٣٢٧).

الآخر: **فكان لا يستتر من بوله**». قال: فدعا بعسيب رطب فشقه اثنين، ثم غرس على هذا واحدًا وعلى هذا واحدًا ثم قال: «**لعله أن يخفف عنهم ما لم ييبسا**»[١].

٣ - وروى أنس أن النبي (ﷺ) سمع صوتا من قبر فقال: «**متى مات هذا؟**» قالوا: مات في الجاهلية فسر بذلك وقال: «**لولا أن لا تدافنوا؛ لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر**»[٢].

٤- وعن عائشة (رضي الله عنها) أن يهودية كانت تخدمها ولا تصنع عائشة (رضي الله عنها) إليها شيئًا من المعروف إلا قالت لها اليهودية: وقاك الله عذاب القبر. قالت عائشة (رضي الله عنها): فدخل رسول الله (ﷺ) عليَّ فقلت: يا رسول الله! هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة ؟ قال (ﷺ): «**لا، من زعم ذلك؟**» قالت: هذه اليهودية لا أصنع إليها شيئًا من المعروف إلا قالت وقاك الله عذاب القبر قال (ﷺ): «**كذبت يهود وهم على الله أكذب لا عذاب دون يوم القيامة**»، ثم مكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث: فخرج ذات يوم نصف النهار مشتملاً بثوبه، محمرة عيناه، وهو ينادي بأعلى صوته: «**القبر كقطع الليل المظلم، يا أيها الناس لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرًا، وضحكتم قليلاً، أيها الناس استعيذوا بالله من عذاب القبر، فإن عذاب القبر حق**»[٣]

٥- روى عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) قال: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن**

---

(١) البخاري (٢١٨) مسلم (٦٧٥) أبو داود (٢٠) الترمذي (٧٠) النسائي (٣١) ابن ماجة (٣٤٧).

(٢) مسلم (٧١٤٣).

(٣) أحمد (٦/ ٨١) (مجمع الزوائد (٤٢٨١) صححه شعيب الأرنؤوط «المسند».

أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة» [١]

٦ـ روى الإمام أحمد عن أنس قال: أخبرني من لا أتهم من أصحاب النبي (ﷺ) قال: بينما رسول الله (ﷺ) وبلال يمشيان بالبقيع، إذ قال رسول الله (ﷺ): «**يا بلال، هل تسمع ما أسمع؟**» قال: لا، والله يا رسول الله ما أسمعهم قال: «**ألا تسمع أهل هذه القبور يعذبون**» يعني قبور أهل الجاهلية[٢].

٧- عن أم مُبَشِّر قالت: دخل علي رسول الله (ﷺ) وأنا في حائط من حوائط بني النجار فيه قبور منهم قد ماتوا في الجاهلية فسمعهم وهم يعذبون، فخرج وهو يقول: «**استعيذوا بالله من عذاب القبر**» قالت: قلت: يا رسول الله! وإنهم ليعذبون في قبورهم؟ قال: «**نعم عذابًا تسمعه البهائم**» [٣]

٨ - عن مسروق قال سألنا عبدالله ـ هو ابن مسعود ـ عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [٤] قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال النبي (ﷺ): «**وأرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا: أي شيء نشتهي؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يارب! نريد أن ترد**

---

(١) البخاري (١٣٧٩) مسلم (٧١٤٠).

(٢) أحمد (٣/٢٥٩) مجمع الزوائد (٤٢٨٨) الحاكم (١/ ٤٠) صححه شعيب الأرنؤوط في «المسند».

(٣) أحمد (٦/٣٦٢) مجمع الزوائد (٤٢٨٩) الصحيحة (١٤٤٤).

(٤) آل عمران (١٦٩).

أرواحنا في أجسادنا حتىٰ نقتل في سبيلك مرة أخرىٰ، فلما رأىٰ أن ليس لهم حاجة تركوا»[١].

٩ ـ عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ﷺ): «**الشهداء علىٰ بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيًا**»[٢].

١٠ ـ جاء في تنعم عموم المؤمنين ما رواه النسائي وغيره عن كعب بن مالك أن رسول الله (ﷺ) قال: «**إنما نسمة المؤمن طائر في شجر الجنة حتىٰ يبعثه الله ـ عز وجل ـ إلىٰ جسده يوم القيامة**»[٣].

فهٰذه بعض الأدلة من الكتاب والسنة علىٰ ثبوت نعيم القبر وعذابه وأنه حق.

ثالثًا: أيلحق نعيم القبر وعذابه الروح والجسد معًا؟

من المعلوم أن جسد الإنسان في الحياة البرزخية يبلىٰ ويصير ترابًا. فهل يلحق نعيم القبر وعذابه الروح فقط؟ أم أنهما يلحقان الروح والجسد معًا؟ أم البدن فقط دون الروح؟

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عن ذلك فأجاب:

بل العذاب والنعيم علىٰ النفس والبدن جميعًا، باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعتين،

---

(١) مسلم (٤٨٦٢) الترمذي (٣٠١١) ابن ماجة (٢٨٠١).

(٢) أحمد (١/ ٢٦٦) الطبراني في الكبير (١٠٨٢٥) مجمع الزوائد (٩٥٢٤) الحاكم (٢/ ٧٤) البيهقي في الشعب (٤٢٤١) صحيح الجامع (٣٧٤٢).

(٣) النسائي (٢٠٧٢)، ابن ماجة (٤٢٧١) ، مالك في «الجنائز» باب جامع الجنائز ، أحمد (٣/ ٤٥٥) ، ابن حبان (٤٦٥٧) صحيح الجامع (٢٣٧٣).

كما يكون الروح منفردة عن البدن.

وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح؟

هذا فيه قـولان مشهوران لأهل الحـديث والسنة والكلام، وفي المسألة أقوال شاذة ليست من أقوال أهل السنـة والحديث، قول من يقول: إن النعيم والعـذاب لا يكون إلا على الـروح، وأن البـدن لا ينعم ولا يعـذب، وهذا تقوله «الفلاسفة» المنكرون لمعاد الأبدان، وهؤلاء كفـار بإجماع، ويقوله كثير من أهل الكلام، من المعـتزلة وغـيرهم، الذين يقـولون: لا يكون ذلك في البرزخ وإنما يكون عند القيام من القبور.

وقـول من يقـول: إن الروح بمفردها لا تنعم ولا تعذب، وإنما الروح هي الحـياة، وهذا يقـوله طوائف من أهل الكلام من المعـتـزلة، وأصحـاب أبي الحسن الأشعري، كالقاضي أبي بكر وغيرهم، وينكرون أن الروح تبقى بعد فراق البدن، وهذا قـول باطل خالفه الأستاذ أبو المعالي الجـويني وغيره، بل قد ثـبت في الكتاب والسنة واتفـاق سلف الأمة أن الروح تبـقى بعـد فراق البدن، وأنها منعمة أو معذبة.

والفلاسفة الإلـهيون يقولون بهذا، لكن ينكرون معاد الأبدان، وهؤلاء يقرون بمـعاد الأبدان، لكن ينكرون مـعاد الأرواح ونعـيمـها وعذابـها بدون الأبدان، وكلا القولين خطأ وضلال، لكن قول الفـلاسفة أبعد عن قول أهل الإسلام، وإن كان قد يوافقهم عليه من يعتقد أنه متمسك بدين الإسلام، بل من يظن أنه من أهل المعرفة والتصوف، والتحقيق والكلام.

والقـول الثـالث الشـاذ: قول من يقـول: إن البرزخ ليس فيـه نعيم ولا عذاب، بل لا يكون ذلك حـتى تقوم القيـامة الكبرى، كمـا يقول ذلك من

يقوله من المعتزلة ونحوهم الذين ينكرون عذاب القبر ونعيمه بناء على أن الروح لا تبقى بعد فراق البدن، وأن البدن لا ينعم ولا يعذب.

فجميع هؤلاء الطائفتين ضلال في أمر البرزخ لكنهم خير من الفلاسفة، لأنهم يقرون بالقيامة الكبرى.

فإذا عرفت هذه الأقوال الثلاثة الباطلة، فليعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة وأنها تتصل بالبدن أحيانًا فيحصل له معها النعيم والعذاب. ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى أجسادها، وقاموا من قبورهم لرب العالمين. ومعاد الأبدان متفق عليه عند المسلمين واليهود والنصارى وهذا كله متفق عليه عند علماء الحديث والسنة»[1].

فالنعيم والعذاب في البرزخ يصيب بدن الميت وروحه، وإن تفرقت أشلاؤه في بطون السباع والنسور والحيتان وإن امتزج ثرى المؤمن بالكافر في القبر؛ لأن الله قادر على إيصال نعيمه وعذابه إلى البدن أينما كان.

أما عن كيفية وصول العذاب إلى أشلاء البدن المتفرقة نقول: إن القادر على جمع ذرات البدن وتكوينه عند البعث والنشور وإعادة الروح إليه قادر على إيصال العذاب إلى أجزاء البدن حيث كان.

فمثل هذا لا يعجز الله، ولا يخفى علينا ما جاء في كتاب الله تعالى في قوله: ﴿ **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ**

(١) مجموع الفتاوي (٤/ ٢٨٢).

قَالَ بَل لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]

فهاتان الآيتان تبينان لنا قدرة الله على جمع أجزاء البدن بعد الموت وتكوينه، وإعادته إلى الحالة التي كان عليها قبل الموت وقدرته على فصل أجزاء البدن وتخليصها مما امتزجت به من العناصر والمواد الأخرى، أيًا كان مكانها الذي انتهت إليه واستقرت فيه.

ففي الآية الأولى أمات الله عبده مائة عام، فني فيها الجسد وبلي وتفرقت أشلاؤه في كل مكان ثم بعد ذلك جمع أجزاءه وأعاد إليه الروح مرة أخرى، وكذلك الحمار أحياه الله كما أحيا العبد وجمع أشلاءه من كل مكان وقد شاهد العبد آية ذلك، شاهد عظام الحمار تتركب وجسده يتكون من ذراته المتفرقة في كل مكان.

وفي الآية الأخرى أمر الله الخليل إبراهيم (عليه السلام) أن يذبح أربعة من الطير مختلفة الأنواع والأشكال والألوان، وأمره بتقطيعها ومزجها ببعضها، وتفريق أشلائها على الجبال، ثم أمره أن يدعوها، فانفصلت أجزاء كل طائر عن أجزاء الطيور الأخرى، وعادت إلى أصلها حية بإذن الله.

---

(١) البقرة: (٢٥٩، ٢٦٠).

فإذا عرفت هذا فاعلم أن الذي فعل ذلك قادر على إيصال العذاب أو النعيم إلى أجزاء البدن أينما كانت، وبهذا ينفرج عنك كل شك.

يقول ابن قيم الجوزية في كتابه «الروح»:

فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها، وتلذذت براحتها، وكانت هي التي تباشر أسباب النعيم والعذاب، تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها والأرواح حينئذ هي التي تباشر العذاب والنعيم، فالأبدان هنا ظاهرة والأرواح خفية، والأبدان كالقبور لها، والأرواح هناك ظاهرة والأبدان خفية في قبورها، تجري أحكام البرزخ على الأرواح، فتسرى إلى أبدانها نعيمًا أو عذابًا، كما تجري أحكام الدنيا على الأبدان فتسرى إلى أرواحها نعيمًا أو عذابًا . فأحط بهذا الموضوع علمًا واعرفه كما ينبغي أن يزيل عنك كل إشكال يورد عليك من داخل أو خارج [١].

وقال الإمام النووي في شرح مسلم:

فإن قيل: فنحن نشاهد الميت على حاله في قبره، فكيف يسأل، ويقعد ويضرب بمطارق من حديد، ولا يظهر له أثر ؟ فالجواب أن ذلك غير ممتنع، بل له نظير في العادة وهو النائم، فإنه يجد لذة وألمًا لا نحس نحن شيئًا منها، وكذا يجد اليقظان لذة وألمًا لما يسمعه أو يفكر فيه، ولا يشاهد ذلك جليسه منه، وكذا كان جبرائيل يأتي النبي (ﷺ)، فيخبره بالوحي الكريم ولا يدركه الحاضرون، وكل هذا ظاهر جلي[٢].

رابعًا: أحوال أهل الإيمان وأهل الشيطان في البرزخ:

ينقسم الحديث عن أحوال أهل الإيمان وأهل الشيطان في البرزخ إلى قسمين، فنبين أولا أحوال كل من الفريقين عند الموت، ثم نتبع ذلك ببيان

---

(١) الروح : (١١٤)

(٢) مسلم بشرح النووي :(١٧/١٩٨).

أقوال كل منهما بعد دخول القبر.

أولاً: أحوال كل من أهل الإيمان وأهل الشيطان عند الموت: لا شك أن كل فريق من الفريقين تصيبه أحوال عند الموت وقبل دخول القبر تختلف عن أحوال الفريق الآخر منهما:

١- استبشار أهل الإيمان عند احتضارهم برضا الله ورضوانه، وجنة عرضها السموات والأرض، قال تعالى: ﴿**فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ * فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ**﴾[١] وقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[٢] وقال ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ**﴾[٣].

فالملائكة تتنزل على أهل الإيمان عند الموت فتخبرهم أنهم كانوا أولياءهم حال حياتهم الدنيوية يعينونهم على طاعة الله، ويوفقونهم لأدائها بإذن الله، ويحفظونهم بأمر الله من كل سوء، وكذلك يكونون معهم في

---

(١) الواقعة: (٨٣ - ٩١).

(٢) النحل: (٣٢).

(٣) فصلت: (٣٠ - ٣٢).

الآخرة، يبشرونهم بجنة الله ورضوانه، ويؤنسونهم من وحشة القبر، ويؤمنونهم من هول يوم القيامة ويعينونهم على مجاوزة الصراط حتى يدخلون الجنة بإذن الله، فينالون فيها ما يشتهون.

أما أهل الشيطان فإن الملائكة تبشرهم عند الاحتضار بعذاب الله وغضبه وسخطه، قال تعالى: ﴿ **وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ** ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ** ﴾[2]

فالملائكة تبشر أهل الشيطان عند احتضارهم بسخط الله وغضبه وعقابه، وما سيلحقهم في حياتهم البرزخية من العذاب وما ينتظرهم منه بعد البعث والنشور.

٢- سؤال أهل الشيطان الرجعة إلى دار الدنيا عند معاينة ملائكة الموت كي يعملوا صالحًا، ولكن هيهات هيهات، قال تعالى: ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ **وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾[4].

فمنتهى غاية أهل الضلال عند إحضارهم ومعاينة الملائكة الرجوع إلى

---

(١) الواقعة: (٩٢ - ٩٤).
(٢) النحل: (٢٨ - ٢٩).
(٣) المؤمنون: (٩٩، ١٠٠).
(٤) المنافقون: (١٠، ١١).

الدنيا مرة أخرى، ولكن هيهات هيهات، لأن الله الذي خلقهم أعلم بحالهم ونواياهم، ومراد كلامهم، فهم لا عهد لهم ولا ذمة، يكذبون على ربهم كما كذبوا عليه من قبل في الدنيا ولهذا أحبط الله رجاءهم، قال تعالى: ﴿**كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ وقال تعالى: ﴿**وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا**﴾ ولقد صرح (سبحانه وتعالى) بما سيفعلونه لو ردوا إلى الدنيا مرة أخرى بقوله: ﴿**وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾[1] أي أن هذا حالهم لن يتغير، ولو ردوا مرات ومرات فسوف يبقون على ما كانوا عليه من الكفر والضلال.

٣- إذا عاين أهل الإيمان ملائكة الموت وبشروا بمقاعدهم ومنازلهم في الجنة، ووجدوا ثمرة أعمالهم الصالحة، أحبوا لقاء الله فأحب الله لقاءهم. أما أهل الشيطان فإنهم إذا عاينوا ملائكة الموت وبُشروا بمقاعدهم في النار، ووجدوا ثمرة ما قدموه من أعمالهم السيئة، كرهوا لقاء الله، فكره الله لقاءهم.

ففي الحديث عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله (ﷺ): «**من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**». فقلت: يا نبي الله! أكراهية الموت؟ فكلنا يكره الموت، فقال: «**ليس كذلك ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته، أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، وإن كان الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه، كره لقاء الله، فكره الله لقاءه**»[2]

٤- تخرج أرواح أهل الإيمان من أجسادهم كأطيب ريح المسك تخرج

(١) الأنعام: ٢٨.

(٢) البخاري (٦٥٠٧) مسلم (٦٧٦٣) الترمذي (١٠٦٧) النسائي (١٨٣٧) ابن ماجة (٤٢٦٤).

تسيل كما تسيل القطرة من فم السقاء، على خلاف أرواح أهل الشيطان فإن أرواحهم تخرج كأنتن جيفة وتنتزع من أجسادهم كما ينتزع السفود من الصوف المبلول.

وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال: «**إذا حضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون: اخرجي راضية مرضيًا عنك إلى روح الله، وريحان، ورب غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح المسك حتى إنه ليناوله بعضهم بعضًا، حتى يأتوا به باب السماء، فيقولون: ما أطيب هذه الريح، التي جاءتكم من الأرض، فيأتون به أرواح المؤمنين، فلهم أشد فرحًا به من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه: ماذا فعل فلان؟ ماذا فعل فلان؟ فيقولون: دعوه فإنه كان في غم الدنيا. فإذا قال: أما أتاكم؟ قالوا: ذهب به إلى أمه الهاوية. وإن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسح**[1] **فيقولون: اخرجي ساخطة مسخوطًا عليك إلى عذاب الله (عز وجل)، فيخرج كأنتن ريح جيفة، حتى يأتوا به باب الأرض فيقولون: ما أنتن هذه الريح! حتى يأتوا به أرواح الكفار**»[2].

٥- تخرج أرواح أهل الشيطان من أجسادهم بالضرب والتعذيب وذلك أن الملائكة إذا حضرت لقبض أرواحهم وبشرتهم بعذاب الله وغضبه، استعصت أرواحهم عن الخروج، وتفرقت في أجسادهم، فتخرجها الملائكة بالضرب والعذاب قال تعالى: ﴿**وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ**﴾[3]

---

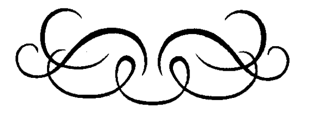
(١) المسح: كساء من الشعر

(٢) النسائي (١٨٣٢) الحاكم (١/ ٣٥٢) صحيح الجامع (٤٩٠). (٣) الأنعام: (٩٣)

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ أي بالضرب، يضربون وجوه وأدبار الكفار.

٦- إذا حملت الجنازة على الأكتاف، فإن كانت صالحة قالت: قدموني قدموني، لحسن ما بشرت به من رضا الله ورضوانه، وإن كانت خبيثة قالت: ياويلها، ياويلها من سوء ما بشرت به من العذاب والنكال الذي ينتظرها، وفي هذا يقول رسول الله (ﷺ): « **إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدموني قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها ياويلها: أين تذهبون بها ؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمع الإنسان لصعق** ».[2]



(١) الأنفال : (٥٠).

(٢) البخاري (١٣١٦) النسائي (١٩٠٨) عن أبي سعيد الخدري.

ثانياً: أحوال أهل الإيمان وأهل الشيطان عند دخول القبر

هنالك أحوال تصيب كلاً من الفريقين بعد دخول القبر نذكر منها:

١- تثبيت الله لأهل الإيمان عند السؤال في القبر على خلاف أهل الشيطان، فإن الله يضلهم، قال تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ**﴾[1].

وذلك أن المؤمن إذا وضع في قبره، جاءته الملائكة لسؤاله، فيقولون له: ما ربك ؟ وما دينك ؟ وما رسولك ؟ فيثبته الله عند ذلك، ويجيب قائلاً: ربي الله وديني الإسلام ورسولي محمد (ﷺ).

أما أهل الشيطان أهل الضلال، فإن أحدهم إذا سئل عن ربه ودينه ورسوله تلعثم لسانه وقال: لا أدري.

وفي هذا روى البخاري ومسلم وأصحاب السنن عن البراء بن عازب عن النبي (ﷺ) قال: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ**﴾. قال: «**نزلت في عذاب القبر، يقال له: من ربك ؟ فيقول: ربي الله ونبيي محمد**» فذلك قوله عز وجل: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾[2].

---

(١) إبراهيم : (٢٧).

(٢) البخاري (١٣٦٩) مسلم (٧١٤٨) أبو داود (٤٧٣٧) الترمذي (٣١٢٠) النسائي

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال « **إن الميت يصير إلى القبر، فيجلس الرجل الصالح في قبره، غير فزع ولا مشعوف، ثم يقال له: فيم كنت ؟ فيقول: كنت في الإسلام، فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول: محمد رسول الله (ﷺ)، جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه، فيقال له: هل رأيت الله ؟فيقول ما ينبغي لأحد أن يرى الله؟ فيفرج له فرجة قبل النار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضًا فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله، ثم يفرج له قبل الجنة، فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له: هذا مقعدك، ويقال له: على اليقين كنت، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله. ويجلس الرجل السوء في قبره فزعًا مشعوفًا، فيقال له: فيم كنت ؟فيقول:لا أدري، فيقال له: ما هذا الرجل ؟ فيقول سمعت الناس يقولون قولاً فقلته، فيفرج له قبل الجنة، فينظر إلى زهرتها، وما فيها، فيقال: له انظر إلى ما صرف الله عنك، ثم يفرج له قبل النار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضًا، ويقال له: هذا مقعدك، على الشك كنت، وعليه مت، وعليه تبعث، إن شاء الله تعالى**» (١)

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال: «**إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان، فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد (ﷺ) ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعدًا خيرًا منه. قال رسول الله (ﷺ) هي فيراهما جميعًا، أما الكافر أو المنافق، فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري ! كنت أقول كما يقول الناس، فيقال له: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب ضربة بين أذنيه**

---

(١) ابن ماجة (٤٢٦٨) صحيح الجامع (١٩٦٨).

فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقيلين» (١). هذا لفظ النسائي، وفي لفظ البخاري: « ... **فيقال له: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين**».

٢- يفسح لأهل الإيمان في قبورهم، وينور لهم فيها على خلاف أهل الشيطان، فإن قبورهم تضيق عليهم حتى تختلف أضلاعهم.

ففي الحديث: « **إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما منكر والآخر نكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين، ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم ؟ فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك. وإن كان منافقًا قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثلهم، لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه فتختلف فيها أضلاعه، فلا يزال فيها معذبًا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك** »(٢)

٣- يعرض على أهل الإيمان في قبورهم مقاعدهم في الجنة بالغداة والعشي ليكون ذلك أبلغ في تبشيرهم بما ينتظرهم من النعيم المقيم وإدخال السرور عليهم، فالواحد منهم يرى مقعده من الجنة مرتين إحداهما بالغداة والأخرى بالعشي فيزداد تنعمًا واستبشاراً من حسن ما بشر به، حتى أنه لشدة شوقه إلى هذا المنزل يقول: رب أقم الساعة، ويعرض على أهل الشيطان في

(١) البخاري (١٣٧٤) مسلم (٧١٤٦) أبو داود (٤٧٣٨) النسائي (٢٠٤٨).
(٢) الترمذي (١٠٧١) عن أبي هريرة صحيح الجامع (٧٢٤).

قبورهم مقاعدهم في النار بالغداة والعشي ليكون ذلك أبلغ في تعذيبهم وتبشيرهم بما ينتظرهم من العذاب المقيم، وإدخال الحزن والهم والغم عليهم، فأحدهم يرى مقعده من النار في كل يوم مرتين إحداهما بالغداة والأخرى بالعشي فيزداد عذابًا من سوء ما بشر به، ويقول: من شدة خوفه مما ينتظره من العذاب المقيم: رب لا تقم الساعة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما والنسائي في سننه عن ابن عمر أن رسول الله (ﷺ) قال: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة**»[1].

وفي لفظ لمسلم والنسائي: «**عرض على مقعده بالغداة والعشي**» أي أنه يعرض هو على مقعده من الجنة أو النار، وهذا كقوله (تعالى) في شأن آل فرعون: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا**﴾ أي أنهم يؤخذون ويعرضون على النار، ولا خلاف بين هذا وذاك، فكلاهما حاصل لهم، فيعرض العبد على مقعده، ويعرض مقعد العبد عليه. قال القرطبي ـ رحمه الله ـ في كتابه التذكرة: قال علماؤنا: وهذا ضرب من العذاب كبير، وعندنا المثال في الدنيا وذلك كمن عرض عليه القتل، أو غيره من آلات العذاب، أومن يهدد من غير أن يرى الآلة نعوذ بالله من عذابه وعقابه، بكرمه ورحمته[2].

٤ـ يتنعم أهل الإيمان في برزخهم إلى قيام الساعة ويتعذب أهل

---

(١) البخاري (١٣٧٩) مسلم (٧١٤٠) النسائي (٢٠٧١) ورواه مالك كتاب الجنائز - (باب جامع الجنائز).

(٢) التذكرة (١/ ١٨١).

الشيطان في برزخهم إلى قيام الساعة قال تعالى عن الشهداء: ﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[1] وفي الحديث عن مسروق قال: سألت عبدالله هو ابن مسعود عن هذه الآية ﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾.

قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال أي رسول الله (ﷺ): «**أرواحهم في جوف طيور خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئًا ؟ قالوا:أي شيء نشتهي ؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب! نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا**»[2].

وجاء في تنعم عموم أرواح المؤمنين ما رواه مالك والنسائي وابن ماجة عن كعب بن مالك أن رسول الله (ﷺ) قال: «**إنما نسمة المؤمن طائر في شجر الجنة حتى يبعثه الله (عز وجل) إلى جسده يوم القيامة**»[3] وفي لفظ مالك وابن ماجة «**طائر يعلق في شجر الجنة**» إلا أن مالك قال: «**طير**». أما أهل

---

(١) آل عمران (١٦٩- ١٧١).

(٢) مسلم (٤٨٦٢) الترمذي (٣٠١١) ابن ماجة (٢٨٠١) .

(٣) مالك كتاب الجنائز - باب جامع الجنائز ، النسائي (٢٠٧٢)، ابن ماجة (٤٢٧١) أحمد (٣/ ٤٥٥) ابن حبان (٤٦٥٧) صحيح الجامع (٢٣٧٣).

الشيطان: فقد قال تعالى في شأن آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [1] وإذا ثبت هذا في حق آل فرعون: فإنه يثبت أيضًا في حق غيرهم.

وأحاديث عذاب القبر تؤكد ذلك. وإليك هذا الحديث الجامع لأحوال الموتى: قال رسول الله (ﷺ): «**إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة! اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوانه، فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة المسك وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا -حتى ينتهوا به إلى سماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح له، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوا عبدي إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى فتعاد روحه، فيأتيه ملكان، فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: رسول الله، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به وصدقت، فينادي منادي من**

---

(١) غافر: (٤٦)

السماء :أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب طيب الريح، فيقول:أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول:أنا عملك الصالح، فيقول:رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي.وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول:أيتها النفس الخبيثة!اخرجي إلى سخط من الله وغضب، فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود[1] من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا:ماهذا الروح الخبيثة ؟فيقولون:فلان ابن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ:لا يفتح لهم أبواب السماء، فيقول الله عز وجل:اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحًا، فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له:من ربك؟ فيقول:هاه هاه لا أدري، فيقولان له:ما دينك؟فيقول:هاه هاه لا أدري، فيقولان له:ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟فيقول:هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء:أن كذب عبدي، فأفرشوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول:أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي

١- السفود :حديدة يشوى عليها اللحم .

يسوؤك هـذا يومك الذي كنت توعد فيقول: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة».[(١، ٢)].



(١) أحمد (٤/ ٢٨٧) أبو داود (٤٧٤٠)، ابن خزيمة في التوحيد ص (١١٩)، الحاكم (١/ ٣٧) البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٩٥)، والضياء، وانظر صحيح الجامع الصغير (١٦٧٦) عن البراء بن عازب.

(٢) لفظ هذا الحديث من كتاب صحيح الجامع الصغير وزيادته، وقد قال مؤلفه: وقد سقته سياقًا واحدًا ضامًا إليه جميع الزوائد والفوائد التي وردت في شيء من طرقه الثابتة عند هؤلاء وغيرهم بصورة لا تجدها في غيره.

خامساً: هل يلحق أهل الكبائر من المسلمين عذاب في البرزخ؟

الثابت من الأحاديث النبوية الصحيحة أن أصحاب الكبائر من المسلمين يلحقهم عذاب في حياتهم البرزخية، فالزاني، والقاتل، والسارق، وشارب الخمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم، وكل من هم على شاكلتهم من المسلمين المرتكبين الكبائر يلحقهم عذاب في برزخهم بسبب ما ارتكبوه من كبائر.

ففي الحديث روى البخاري عن سمرة بن جندب - في حديثه الطويل - قال: كان رسول الله (ﷺ) يعني مما يكثر أن يقول لأصحابه: «**هل رأى أحد منكم رؤيا؟**» قال: فيقص عليه ما شاء الله أن يقص.

وإنه قال لنا ذات غداة: «**إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي: انطلق، وإني انطلقت معهما، وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فيتهدده الحجر هاهنا، فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل به المرة الأولى، قال: قلت لهما: سبحان الله، ما هذان؟ قال: قالا لي: انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه، فيشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، قال: وربما قال أبو رجاء فيشق[1] قال: ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب**

---

(١) أبو رجاء هذا أحد رجال السند.

الأول فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى. قال: قلت سبحان الله ما هذان؟ قال: قالا لي: انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على مثل التنور، قال: وأحسب أنه كان يقول فإذا فيه لغط وأصوات: قال: فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا. قال: قلت لهما ما هؤلاء؟ قال: قالا لي: انطلق انطلق، قال: فانطلقنا فأتينا على نهر ـ حسبت أنه كان يقول أحمر مثل الدم ـ وإذا في النهر رجل سابح يسبح، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثم يأتي ذلك قد جمع عند الحجارة فيفرغ له فاه، فيلقمه حجراً، فينطلق يسبح ثم يرجع إليه، كلما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجرًا، قال قلت لهما: ما هذان؟ قال: قالا لي: انطلق انطلق، قال فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآه [1] كأكره ما أنت راء رجلاً مرآه، وإذا عنده نار يحشها ويسعى حولها، قال قلت لهما: ما هذا؟ قال: قالا لي: انطلق انطلق، قال : فانطلقنا فأتينا على روضة فيها معتمة من كل لون الربيع، وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولاً في السماء، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط، قال: قلت لهما: ما هذا؟ ما هؤلاء؟ قال: قالا لي: انطلق انطلق، فانطلقنا فانتهينا إلى روضة عظيمة لم أر روضة قط أعظم منها ولا أحسن، قال: قالا لي: ارق فارتقيت فيها، قال: فارتقينا فيها فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة، فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا، فدخلناها فتلقانا فيها رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء، وشطر كأقبح ما أنت راء، قال: قال لهم: اذهبوا فقعوا في هذا النهر، قال: وإذا نهر معترض يجري كأن ماءه المحض من البياض

---

(١) كريه المرآة : قبيح المنظر .

فذهبوا فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة، قال :قالا لي:هذه جنة عدن وذاك منزلك، قال:فسما بصرى صعدا، فإذا قصر مثل الربابة البيضاء[١] ، قال:قالا لي:ذاك منزلك، قال: قلت لهما: بارك الله فيكما، ذراني فأدخله، قالا:أما الآن فلا، وأنت داخله، قال: قلت لهما:فإني قد رأيت منذ الليلة عجبًا، فما هذا الذي رأيت؟ قال: قالا لي:أما إنا سنخبرك،أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ بالقرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة، وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق، وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التنور فهم الزناة والزواني، وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر فإنه آكل الربا، وأما الرجل الكريه المرآة الذي عند النار يحشها ويسعى حولها فإنه مالك خازن جهنم، وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم (ﷺ)، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة، قال:فقال بعض المسلمين:يا رسول الله وأولاد المشركين؟فقال رسول الله (ﷺ): وأولاد المشركين، وأما القوم الذين كانوا شطرًا منهم حسن وشطرًا قبيح فإنهم قوم خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئاً تجاوز الله عنهم »[٢].

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ عن هذا الحديث:

وفيه أن بعض العصاة يعذبون في البرزخ[٣].

وقال القرطبي في التذكرة: قال علماؤنا ـ رحمة الله عليهم ـ لا أبين

---

(١) الربابة: السحابة البيضاء.

(٢) البخاري (٧٠٤٧).

(٣) فتح الباري : (١٢/٤٦٦).

في أحوال المعذبين في قبورهم من حديث البخاري - يعني حديث سمرة بن جندب هذا - وإن كان منامًا فمنامات الأنبياء (عليهم السلام) وحي، بدليل قول إبراهيم (عليه السلام): ﴿**يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ**﴾ فأجابه ابنه: ﴿**يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ**﴾[1].

وقد ثبت عن رسول الله (ﷺ) أن الذي يمشي بالنميمة بين الناس، والذي لا يستبرأ من بوله يعذب في قبره بسبب ذلك، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي (ﷺ) أنه مر بقبرين يعذبان فقال: « **إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**» ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين ثم غرز في كل قبر واحدة، فقالوا: يا رسول الله! لم صنعت هذا؟فقال: «**لعله أن يخفف عنهما مالم ييبسا**»[2].

قال ابن حجر:

وأما حديث الباب - يعني هذا الحديث - فالظاهر من مجموع طرقه أنهما كانا مسلمين، ففي رواية ابن ماجة: «**مر بقبرين جديدين**» فانتفى كونهما في الجاهلية، وفي حديث أبي أمامة عند أحمد: «أنه (ﷺ) مر بالبقيع فقال: «**من دفنتم اليوم هاهنا؟**» فهذا يدل على أنهما كانا مسلمين لأن البقيع مقبرة المسلمين، والخطاب للمسلمين مع أن جريان العادة بأن كل فريق يتولاه من هو منهم، ويقوي كونهما كانا مسلمين رواية أبي بكرة عند أحمد والطبراني بإسناد صحيح «**يعذبان وما يعذبان في كبير**» ويلي «ومايعذبان إلا في الغيبة والبول» فهذا الحصر ينفي كونهما كانا كافرين، لأن الكافر وإن

(١) التذكرة: (١/ ١٦٥)

(١) البخاري (١٣٦١) مسلم (٦٧٥) أبوداود (٢٠) الترمذي: (٧٠) النسائي(٣١) ابن ماجة (٣٤٧).

عـذب على ترك أحكام الإسـلام، فـإنه يعـذب مع ذلـك على الكفـر بـ خلاف. وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم إثبات عذاب القبر[1].

وقـال أيضًا نقـلاً عن الزين بن المنيـر قوله: المراد بتـخـصيص هـذين الأمرين بالذكر - الاستبراء من البول والنميمة - تعظيم أمرهما لا نفي الحكم عما عداهما، فعلى هذا لا يلزم من ذكرهما حصـير عذاب القبر فيهما لكن الظاهر من الاقتصار على ذكرهما أنهما أمكن في ذلك من غيرهما[2].

قلت: ويقوي هذا القول حديث سمرة بن جندب السابق ذكره، حيث يتضمن أنواعًا أخرى من الكبائر، يعذب أصحابها في القبور بسببها.

وللبول خـصوصية بالنسـبة لعذاب القبـر كما أخبـر بذلك رسول الله (ﷺ) في قوله: «**أكثر عذاب القبر من البول**»[3] وروى الحاكم من حديث ابن عباس أن رسول الله (ﷺ) قال: «**عامة عذاب القبر من البول**»[4].



---

(١) فتح الباري: (١/ ٣٨٣).

(٢) فتح الباري: (٣/ ٢٨٦).

(٣) أحمـد (٢/ ٣٨٨) ابن ماجـة (٣٤٨) الحاكم (١/ ١٨٣) عن أبي هريـرة صحيح الجامع (١٢٠١).

(٤) الحاكم (١/ ١٨٤) صحيح الجامع (٣٩٧١).

أحوال أهل الإيمان وأهل الشيطان
بعد البعث والنشور

تجري على الموتى الحياة البرزخية إلى أن يحييهم الله يوم القيامة للفصل والقضاء، فيأمر إسرافيل الملك الموكل بالنفخ في الصور فينفخ فيه نفخة القيام لرب العالمين، قال تعالى: **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ**[١] **فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾**[٢] فيخرج الناس من قبورهم في إثر هذه النفخة نفخة القيام لرب العالمين بعد أن ينزل الله عليهم ماءً من السماء فتنبت أجسادهم كما ينبت الحب في الثرى إذا أصابه الماء.

وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): « **ما بين النفختين أربعون**». قالوا: يا أبا هريرة أربعون يومًا، قال: أبيت[٣] قالوا: أربعون شهرًا، قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة، قال: أبيت «ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما تنبت البقل». قال: «**وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظمًا واحدًا وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة**»[٤].

وبقيام الناس من قبورهم فتبدأ حياتهم الأخروية، في هذه الحياة يلحق كلاً من أهل الإيمان وأهل الشيطان أحوال تختلف باختلاف أعمالهم.

---

(١) الصور: قرن عظيم ينفخ فيه إسرافيل ليقوم الناس لرب العالمين .

(٢) الزمر: (٦٨).

(٣) أبيت: نفيت الكلام، سكت.

(٤) البخاري (٤٩٣٥)، مسلم(٧٣٤٠)

ومن المعلوم أن القيامة مواقف، ولذلك فإننا سنبين أحوال كل فريق في كل موقف من مواقف القـيامة، بدءًا من خروجهم من القبـور وانتهاءً بنزول كل فريق منزله الذي أعده الله له مع بيان أحوالهم في هـذه المنازل.



أحوال أهل الإيمان وأهل الشيطان
عند الخروج من القبور

إذا ما حلت الروح في البدن خرج الناس من قبورهم سراعًا أشتاتًا كالفراش المبثوث، والجراد المنتشر قاصدين الداعي، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ * مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾[3] في هذا الموقف يعتري كلاً من أهل الإيمان وأهل الشيطان أحوال:

فأما أهل الإيمان فإنهم يكونون في مأمن من الفزع الأكبر، وتبشرهم الملائكة عند خروجهم من قبورهم بخير ما يسرهم، كما بشرتهم من قبل عند الموت بروح وريحان وجنة نعيم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[4] وقال

---

(١) الزلزلة (٦).

(٢) القارعة: (٤).

(٣) القمر (٧ ، ٨).

(٤) الأنبياء (١٠١ ـ ١٠٣).

تعالى: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[١].

وأما أهل الشيطان، فإنهم يخرجون من قبورهم سراعًا خاشعة أبصارهم، يعلوهم الذل والصغار، ويعتريهم الندم والحسرة، ويغمرهم الفزع والهلع والخوف من شدة هول يوم القيامة، وما ينتظرهم من العذاب المقيم، يدعون على أنفسهم بالويل والثبور. كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ[٢] إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾[٤] هذا ما يصيبهم على وجه العموم، أما على وجه الخصوص فإن هناك فئاتًا خاصة من الناس تصيبهم أحوال معينة منهم.

١ـ أكلة الربا:

الذين قال الله فيهم: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾[٥].

---

(١) فصلت: (٤٠).

(٢) الأجداث: القبور.

(٣) ياسين الآيتان(٥١ ,٥٢)

(٤) المعارج: الآيتان (٤٣ ,٤٤)

(٥) البقرة الآية (٢٧٥)

فبين (سبحانه وتعالى) أن أكلة الربا يقومون من قبورهم يوم القيامة يتخبطون تخبط المصروع الذي مسه الشيطان جزاءً على أكلهم أموال الناس بالباطل.

والأمر يعم كل مكتسب للمال من طريق الربا، ولا يقتصر على الآكلين فقط، وإنما خص الآكل بالذكر لأن غالب سعي الإنسان في طلب المال لأجل الأكل.

ولهذا جاء في الحديث عن عبدالله بن مسعود قال: «**لعن رسول الله (ﷺ) آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه**»[1].

وعند مسلم عن جابر قال: «**لعن رسول الله (ﷺ) آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه، وقال: هم سواء**»[2].

٢ ـ النائحة:

التي تنوح على الموتى وتلطم الخدود وتشق الجيوب، ولا ترضى بقضاء الله. إذا لم تتب قبل موتها، تخرج من قبرها يوم القيامة عليها سربال من قطران، ودرع من جرب، قال رسول الله (ﷺ): «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة. وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب**»[3].

---

(١) أبو داود (٣٣٣١) الترمذي (١٢٠٦) ابن ماجة (٢٢٧٧) ابن مسعود، صحيح الجامع (٥٠٨٩).

(٢) مسلم (٤٠٦٩).

(٣) مسلم (٢١٥٧) أبو مالك الأشعري.

أحوال أهل الإيمان وأهل الشيطان عند سوقهم إلى المحشر

يخرج الناس من قبورهم تسوقهم الملائكة إلى أرض الحشر، قال الله تعالى: ﴿**وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ**﴾[1] أي معها ملك يسوقها إلى المحشر، وشهيد يشهد عليها بما عملت، ويحشرون إلى ربهم حفاة عراة غرلاً، كما في حديث عائشة (رضي الله عنها): قالت: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً**». قلت: يا رسول الله! الرجال والنساء جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال (ﷺ): «**يا عائشة! إن الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض**»[2].

هذا على وجه العموم أما على وجه الخصوص فإن كل فريق من الفريقين يصيبه في هذا الموقف أحوال:

أولاً: أحوال أهل الشيطان:

١- يحشر الله أهل الشيطان على وجوههم عميًا وبكمًا وصمًا، قال تعالى: ﴿**وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا**﴾[3] وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً**

---

(١) ق: (٢١).

(٢) البخاري (٧٥٢٧) مسلم (٧١٢٧) النسائي (٢٠٨٣) ابن ماجة (٤٢٤٦).

(٣) الإسراء: (٩٧).

ضنكًا ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرًا * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى * وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ﴾[١].

وفي الحديث عن أنس (رضي الله عنه) أن رجلا قال: يا رسول الله! كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟قال: «**أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟**»[٢].

وقد اختلف أهل التأويل في حقيقة عماهم يوم القيامة، هل هو من عمى البصيرة أم من عمى البصر؟ فقال جماعة منهم: إنما هو من عمى البصيرة مستندهم في ذلك قوله تعالى: ﴿**لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين**﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿**وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل * وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي**﴾[٤].

وقوله تعالى ﴿**ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا** ﴾[٥] إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على أنهم يبصرون وقال آخرون: إنما هو من عمى البصر مستندهم في ذلك، قوله تعالى: ﴿**قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا** ﴾[٦] ففي هذا بيان أنه من عمى البصر

(١) طه (١٢٤-١٢٧).

(٢) البخاري (٦٥٢٣) مسلم (٧٠١٨).

(٣) التكاثر: (٦، ٧).

(٤) الشورى: (٤٤، ٤٥).

(٥) الكهف: (٥٣).

(٦) طه: (١٢٥).

وليس من عمى البصيرة.

قال ابن القيم:

وبهذا يظهر أن الصواب هو القول الآخر، وأنه من عمى البصر، فإن الكافر يعلم الحق يوم القيامة عيانًا ويقر بما كان يجحد في الدنيا، فليس هو أعمى عن الحق يومئذ[1].

وقال ابن جرير:

والصواب من القول في ذلك ما قاله الله (تعالى ذكره) وهو أنه يحشر أعمى عن الحجة، ورؤية الشيء كما أخبر (جل ثناؤه) فعم ولم يخصص[2] والحق أن القيامة مواقف، والناس تختلف أحوالهم من موقف إلى آخر، فقد يصيبهم العمى في موقف ويبصرون في موقف آخر ليكون ذلك أبلغ في تعذيبهم. والآيات في كتاب الله قد أثبتت هذا وذاك، فمنها ما أثبت لهم السمع والبصر والكلام ومنها ما نفى ذلك عنهم وليس بين الآيات تعارض، وإنما ذلك مرجعه إلى أحوالهم في كل موقف من مواقف القيامة.

قال أبو جعفر بن جرير:

فإن قال قائل: وكيف وصف الله هؤلاء بأنهم يحشرون عميًا وبكمًا وصمًا، وقد قال: ﴿**وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا**﴾[3] فأخبر أنهم يرون. وقال: ﴿**إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا * وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا**﴾[4]. فأخبرهم أنهم يسمعون

(١) التفسير: ص٣٦٣، مفتاح دار السعادة: (١/ ٧٠).

(٢) جامع البيان: (١٦/ ١٦٥).

(٣) الكهف: (٥٣).

(٤) الفرقان: (١٢، ١٣).

وينطقون.

قيل: جائز أن يكون ما وصفهم الله به من العمى والبكم والصم، يكون صفتهم في حال حشرهم إلى موقف القيامة ثم يجعل لهم أسماعًا وأبصارًا ومنطقًا في أحوال أخر غير حال الحشر، ويجوز أن ذلك كما عن ابن عباس قوله في: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾[١] ثم قال: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ وقال: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾وقال: ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾.

أما قوله عميًا فلا يرون شيئًا يسرهم، وقوله: بكمًا لا ينطقون بحجة، وقوله: صمًا لا يسمعون شيئًا يسرهم[٢].

ومن العلماء من قال: هذه الحالة تكون في الحشر إلى الموقف، ومنهم من قال: إنها تكون في الحشر إلى النار، وممن قال بالأول: الإمام أبو جعفر ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسيره[٣].

وممن قال بالثاني: العلامة ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ في كتابه مفتاح دار السعادة [٤]. والقرطبي في التذكرة [٥]. والله أعلم.

٢- يساق أهل الشيطان إلى أرض المحشر سود الوجوه زرق العيون عطاشًا، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾[٦].

قيل في معنى زرقًا: أنهم زرق العيون سود الوجوه وقيل: عميا، وقيل:

---

(١) الإسراء: (٩٧).

(٢) جامع البيان: (١٥/ ١١٢).

(٣) جامع البيان: (١٥/ ١٢).

(٤) مفتاح دار السعادة: (١/ ٧٠) وانظر التفسير القيم ص (٣٦٣).

(٥) التذكرة(١/ ٢٣٨).

(٦) طه: (١٠٢).

عطاشًا، وقيل: شاخصين الأبصار من شدة الخوف.

٣- يحشر أهل الشيطان بصحبة شياطينهم الذين أغووهم وأضلوهم في دار الدنيا، يقرن كل من الكافر مع شيطانه في سلسلة من سلاسل يوم القيامة قال تعالى: **﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾**[1].

٤ - يحشر المتكبرون يوم القيامة على أمثال الذر يطؤهم الناس بأقدامهم، يعلوهم الذل والصغار، عقابًا لهم من جنس عملهم، إذ كانوا يستكبرون على ربهم، ويستعلون على خلقه في دار الدنيا؛ قال رسول الله (ﷺ): « **يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر، في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار، طينة الخبال**»[2] قال المباركفوري: والمعنى: أنهم يكونون في غاية الذلة، والنقيصة يطؤهم أهل الحشر بأرجلهم من هوانهم على الله.[3]

وقد حمل بعض أهل العلم قوله (ﷺ): «**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر**» في صورة الرجال على المجاز، وحمله بعضهم على الحقيقة أي أن صورهم صور إنسان وجثثهم جثث الذر في الصغر.[4]

وحمل المعنى على الحقيقة أبلغ في إذلالهم وإهانتهم وتعذيبهم، ولا غرابة في حمله على الحقيقة، فإن الله لا يعجزه شيء، بل هو قادر على أن

---

(١) مريم: ٦٨

(٢) الترمذي (٢٤٩٢) أحمد (٢/١٧٩) عن ابن عمرو صحيح الجامع (٨٠٤٠).

(٣) تحفة الأحوزي: (٧/٢٠٦).

(٤) انظر في تفصيل ذلك تحفة الأحوزي: (٧/٢٠٧).

يحشرهم على أية حال يشاؤها.

ثانيًا: أحوال أهل الإيمان

أمـا أهل الإيمان فإن الحـال التي كـانوا عليـها من الأمن والأمـان عند خروجهم من قبورهم تلازمهم في كل مـوقف من مواقف القيامة، ويكونون بعيدين كل البعد عمـا يصيب أهل الشيطان من الفزع والهلع والخوف والذل والصغار والعمى والعطش فلا يصيبهم ولا يلحقهم شيء من هذا القبيل كما قال تعـالى: ﴿ **لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾[1].



(١) الأنبياء: (١٠٣).

أحوال أهل الإيمان وأهل الشيطان في أرض المحشر

صفة أرض المحشر:

يجتمع الناس للفصل والقضاء في أرض المحشر عن بكرة أبيهم، الأولون والآخرون، لم يغادر منهم أحدًا. قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ**﴾[1] وقال تعالى: ﴿**وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا**﴾[2] وقال تعالى: ﴿**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ**﴾[3].

وأرض المحشر هذه وصفها رسول الله (ﷺ) بقوله: «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفر كقرص النقي ليس فيها معلم لأحد**»[4].

نقل ابن حجر عن القاضي عياض قوله: العفر بياض يضرب إلى حمرة قليلاً ومنه سمي عفر الأرض وهو وجهها.

وعن الخطابي قوله: «**كقرص النقي**» أي الدقيق النقي من الغش والنخالة.

وفي معنى قوله (ﷺ): «**ليس فيها معلم لأحد**» ذكر عن القاضي عياض قوله: المراد أنها ليس فيها علامة سكنى ولا بناء، ولا أثر، ولا شيء من العلامات التي يُهتدى بها في الطرقات كالجبل والصخرة البارزة[5].

---

(١) الواقعة: (٤٩ ، ٥٠).

(٢) الكهف: (٤٧).

(٣) الحاقة: (١٨).

(٤) البخاري (٦٥٢١) مسلم (٦٩٨٩) عن سهل بن سعد.

(٥) فتح الباري (١١/ ٣٨٢).

وأما أحوال كل من أهل الإيمان وأهل الشيطان فتتمثل في:

١- ملازمة كل فريق للحال التي كان عليها عند خروجه من القبر: فأما أهل الشيطان فإنهم يبقون فيما هم فيه من الفزع والهلع والخوف والذل والصغار، وفراغ الصدور من القلوب وشخوص الأبصار قال تعالى: ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ** ﴾[١].

وأما أهل الإيمان فإنهم تلازمهم الحال التي كانوا عليها من الأمن والأمان.

٢- تمييز أهل الشيطان من أهل الإيمان: يأمر الله أهل الشيطان أن يتميزوا عن أهل الإيمان ويتفرقوا عنهم قال تعالى: ﴿ **وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ** ﴾[٢] وقال تعالى ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ** ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ** ﴾[٤]

فيتباين أهل الشيطان عن أهل الإيمان، ويتميزون عنهم، ويقف أهل كل كبيرة في جماعة، عبدة الأصنام، وعبدة النجوم، وعبدة النار، وعبدة الكواكب، وعبدة المسيح، وعبدة الملائكة، وعبدة الجن، كل هؤلاء وغيرهم ممن جعلوا لله أندادًا يقفون مع أشباههم ونظائرهم في المعاصي.

٣- حشر أهل الشيطان بصحبة معبودهم: يحشر مع كل طائفة من طوائف أهل الكفر الآلهة التي كانوا يعبدونها في الدنيا، والشياطين الذين

---

(١) إبراهيم: (٤٢، ٤٣).

(٢) ياسين: (٥٩).

(٣) الروم: (١٤).

(٤) يونس: (٢٨).

كانوا يضلونهم قال تعالى: ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُون * مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ [3].

وفي الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال: «**يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد، ثم يطلع عليهم رب العالمين فيقول: ألا يتبع كل إنسان ما كانوا يعبدون، فيمثل لصاحب الصليب صليبه، ولصاحب التصاوير تصاويره، ولصاحب النار ناره، فيتبعون ما كانوا يعبدون، ويبقى المسلمون فيطلع عليهم رب العالمين فيقول: ألا تتبعون الناس؟ فيقولون: نعوذ بالله منك، نعوذ بالله منك، الله ربنا، وهذا مكاننا حتى نرى ربنا، وهو يأمرهم ويثبتهم** ...»[4] الحديث.

٤ - توبيخ الله وتقريعه لأهل الشيطان:

ينادي الله على عامة من ضل من بني آدم وأطاع الشيطان من دون الله بقوله: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ * هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾[5] والاستفهام في قوله: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ﴾ لأجل تقريع وتوبيخ أتباع

(١) الصافات: (٢٢، ٢٣).

(٢) مريم: (٦٨).

(٣) الفرقان: (١٧).

(٤) الترمذي (٢٥٥٧) صحيح الجامع (٨٠٢٥).

(٥) ياسين: (٦٠ـ ٦٤).

الشيطان على ما كان منهم في الدنيا من معصية لله وطاعة للشيطان بالرغم من العهود والمواثيق التي أخذها الله عليهم سواء على لسان رسله أو وهم ذراري في ظهور آبائهم كما قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ**﴾[1].

ولقد هيأ الله لهم كافة السبل والوسائل التي بها يتقون عبادة الشيطان وجعل لهم سمعًا وأبصارًا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم، وماانتفعوا بشيء منها، فقد خدعهم الشيطان وأغواهم وأنساهم عداوته التي طالما حذرهم الله منها ونبههم إليها، فصدهم عن طاعة الله وأضل منهم جبلاً كثيرًا. والمراد بعبادتهم للشيطان طاعتهم له، إذ ليس المقصود أنهم اعتقدوا ألوهيته فهذا كقوله تعالى على لسان إبراهيم لأبيه: ﴿**يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ**﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ**﴾[3] فهم ما اعتقدوا ألوهيتهم وإنما أطاعوهم فيما أحلوا وحرموا، وكل طاعة في معصية الله عبادة لمن تطيعه، أما الطاعة فيما أمر الله كطاعة الرسول (ﷺ) فهي طاعة لله، لأنه هو الآمر بها والداعي إليها.

٥- تلجيم العرق لأهل الشيطان: تدنو الشمس من الرءوس يوم القيامة، ويقف الناس في أرض المحشر وليس عندهم ما يستظلون به، وقد أصابهم العرق كلٌّ على قدر خطاياه، فمنهم من يبلغ العرق كعبيه ومنهم من

---

(١) الأعراف: (١٧٢).

(٢) مريم: (٤٤).

(٣) التوبة: (٣١).

يبلغ العرق إلى ركبتيه، ومنهم من يبلغ العرق إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا فعن المقداد بن الأسود قال: قال رسول الله (ﷺ): «**تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم قدر ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا**». قال: وأشار رسول الله (ﷺ) بيده إلى فيه»[١].

فكلٌ يصيب منه العرق على قدر إيمانه، فيلجم من انعدم إيمانه ويقل كلما ازداد الإيمان.

وهناك في هذا الموقف ترى فريقًا من الناس لا يصيبهم العرق كما أصاب غيرهم ولا يتأثرون بحرارة الشمس، وإنما يستظلون في ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله، وهم الذين قال فيهم رسول الله (ﷺ): «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله عز وجل، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه**»[٢].

وقال (ﷺ): «**من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله**»[٣].

وروى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله(ﷺ): «**إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**»[٤]

---

(١) مسلم(٧١٣٥) الترمذي(٢٤٢١).

(٢) البخاري (٦٦٠) مسلم (٢٣٧٧) الترمذي (٢٣٩١) عن أبي هريرة.

(٣) مسلم(٧٤٣٧) ابن ماجة (٧٤١٩) عن كعب بن عمرو.

(٤) مسلم (٦٤٩٤).

وروى أحمد والطبراني عن العرباض بن سارية قال: قال رسول الله (ﷺ): قال الله تعالى في الحديث القدسي: **«المتحابون بجلالي في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلي»**(١) إلى غير ذلك من الأحاديث التي تخص طوائف معينة بالوقوف في ظل عرش الله يوم القيامة.

٦- عسر يوم القيامة على أهل الشيطان ويسره على أهل الإيمان:

يطول بالناس الوقوف في أرض المحشر، ويمضي الوقت بطيئًا عسيرًا غير يسير على أهل الكفر والضلال حتى أنهم يتمنون الانصراف ولو إلى النار، من شدة ما هم فيه من الأهوال.

قال تعالى: ﴿ **الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا** ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ **مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ** ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ **فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ * فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ** ﴾(٤).

أما أهل الإيمان فلا عسرة عليهم في هذا اليوم، فالله يفرج عنهم كرباتهم وييسرها عليهم، كما كانوا يفرجون وييسرون على الناس كرباتهم في الدنيا، قال رسول الله (ﷺ): **«من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في**

---

(١) أحمد(٤/١٢٨) الطبراني في الكبير (١٨/٦٤٤) مجمع الزوائد (٢/ ١٨٠) صححه شعيب الأرنؤوط

(٢) الفرقان: (٢٦).

(٣) القمر: (٨).

(٤) المدثر: (٨ ، ١٠).

الدنيـا والآخرة، والله في عـون العبـد مـا كان العـبد في عـون أخيـه ... ...»[١] الحديث.

ويمر هذا الوقت سريعًا سهلاً يسيرًا كما في حديث أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: « **يقوم الناس لرب العالمين مقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة، فيهون ذلك اليوم على المؤمن كتدلي الشمس للغروب إلى أن تغرب**»[٢].

وعند الحاكم عن أبي هـريرة أن النبي (ﷺ) قال: «**يوم القـيامـة على المؤمن كقدر ما بين الظهر والعصر**»[٣].

٧- اختصاص أهل الإيمان بالشفاعة دون أهل الشيطان:

بعدما يطول بالناس الوقوف في أرض المحشر انتظارًا للفصل والقضاء، ويشتد عليـهم هول ذلك اليوم يلجئون إلى الأنبياء والرسل كي يشـفعوا لهم عند ربهم لإراحتهم من هول ذلك الموقف.

فـعن أبي هريرة قال: أُتِيَ رسـول الله (ﷺ) يومًـا بلحم، فرفع إليـه الذراع وكانت تعـجبه، فنهس منهـا نهسة فـقال: «**أنا سـيـد الـناس يوم القيامة. وهل تدرون بم ذاك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي وينفـذهم البصر، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون، وما لا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيـه؟ ألا ترون ما قـد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشـفع لكم إلى ربكم فيـقول بعض الناس لبـعض: ائتـوا آدم، فيـأتون آدم فيـقـولون: يا آدم! أنت أبو البشـر، خلقك الله بيده ونفخ فـيك من روحه وأمر الملائكة فسجـدوا لك، اشفع لنا إلى**

(١) مسلم (٦٧٩٣) أبو داود (٤٩٣٨) ابن ماجة (٢٢٥) عن أبي هريرة.
(٢) أبو يعلى (٦٠٢٥) مجمع الزوائد (١٣٨٤٨) وصححه حسين سليم في المسند.
(٣) الحاكم (١/ ٨٤)، صحيح الجامع (٨١٩٣)

ربك ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه؟ ألا ترىٰ إلىٰ ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ نوح فيأتون نوحًا فيقولون: يانوح! أنت أول الرسل إلىٰ الأرض، وسماك الله عبدًا شكورًا اشفع لنا إلىٰ ربك ألا ترىٰ ما نحن فيه؟ ألا ترىٰ ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها علىٰ قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ إبراهيم(ﷺ)، فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه؟ ألا ترىٰ إلىٰ ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وذكر كذباته، نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ موسىٰ، فيأتون موسىٰ(ﷺ)، فيقولون: يا موسىٰ! أنت رسول الله، فضلك الله برسالاته وبتكليمه، علىٰ الناس، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ ما نحن فيه؟ ألا ترىٰ ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسىٰ: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قد قتلت نفسًا لم أومر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ عيسىٰ(ﷺ)، فيأتون عيسىٰ فيقولون: يا عيسىٰ! أنت رسول الله، وكلمت الناس في المهد وكلمة منه ألقاها إلىٰ مريم وروح منه فاشفع لنا إلىٰ ربك ألا ترىٰ ما نحن فيه؟ ألا ترىٰ ما قد بلغنا؟فيقول لهم عيسىٰ (ﷺ): إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله. ولم يذكر له ذنبًا، نفسي نفسي اذهبوا إلىٰ غيرى، اذهبوا إلىٰ محمد (ﷺ).فيأتوني فيقولون:يا محمد! أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ ما نحن فيه؟ ألا ترىٰ ما قد بلغنا؟ فأنطلق

فآتي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربي، ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد! ارفع رأسك سل تعطى، اشفع تشفع فأرفع رأسي، فأقول: يا رب! أمتي أمتي، فيقال: يا محمد! أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه، من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده! إن ما بين المصراعين من مصارع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى»[1].

أما أهل الشيطان فلا شافع لهم يومئذ، فقد تقطعت بينهم وبين ما كانوا يعبدونه في الدنيا أواصر الصلة والود والمحبة، فلاهم يشفعون لهم، وإن شفعوا لا تقبل شفاعتهم قال تعالى: **﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾**[2] وقال تعالى مقرعًا وموبخًا لهم: **﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾**[3].

بل إنهم لو كانوا يعبدون نبيًا من الأنبياء، أو ملكًا من الملائكة، أذن الله له في الشفاعة لن تنفعهم شفاعته وذلك كالنصارى الذي كانوا يعبدون عيسى عليه السلام لأن الشفاعة مختصة بأهل الإيمان يومئذ دون غيرهم ولا شفاعة لكافر، ولو تشفع أحد لكافر لا تقبل شفاعته، فالشفاعة يومئذ لله، ولا تقبل شفاعته لأحد إلا بإذنه، قال تعالى: **﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ ۞ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾**[4] وقال تعالى: **﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾**[5].

---

(١) مسلم (٤٧٩) البخاري (٣٣٦١) الترمذي (٢٤٣٤) (٢) الروم: (١٣)
(٣) الأنعام: (٩٤) (٤) الزمر: (٤٣، ٤٤). (٥) المدثر: (٤٨).

وقال تعالى: ﴿**مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ**﴾ [١].

وقال تعالى: ﴿**وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ**﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿**مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ**﴾[٣].

فكل هذه الآيات وغيرها تنفي حصول الشفاعة لأهل الكفر.

٨-اختصاص أهل الإيمان بالشرب من حياض الأنبياء:

تشتد على الناس الأهوال في أرض المحشر، ويطول بهم الوقوف تحت وهج الشمس، وقد أخذ منهم العرق على قدر خطاياهم واشتد بهم الظمأ، فيبحثون عن الماء فلا يجدونه إلا عند حياض الأنبياء، فيتزاحمون عليها، كل يريد أن يروي ظمأه.

فأما أهل الإيمان فإنهم متى وردوا حياض الأنبياء شربوا منها، قال رسول الله (ﷺ): «**إني فرطكم على الحوض:من مر علي شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا، ليردن علي أقوام أعرفهم، ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم**»[٤]وقال (ﷺ) يصف حوضه: «**حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبدًا**» [٥].

وأما أهل الشيطان فإن فريقًا منهم يزاحم على حوض النبي(ﷺ) بغية الشرب منه، فيذادون عنه كما في الحديث عن ابن أبي مليكة عن أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنهما) قالت: قال النبي (ﷺ): «**إني على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم وسيؤخذ ناس دوني، فأقول: يا رب! مني ومن أمتي فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم**».فكان ابن أبي

---

(١) البقرة: (٢٥٥). (٢) الأنبياء: (٢٨). (٣) غافر: (١٨).

(٤) البخاري (٦٥٨٣) مسلم (٥٩٢٦) عن سهل بن سعد

(٥) البخاري (٦٥٧٩) مسلم (٥٩٢٨) عن عبدالله بن عمرو بن العاص.

ملكية يقول: اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا، أو نفتن عن ديننا»[١].

وهؤلاء الذين يزادون عن حوض نبينا (ﷺ) هم جماعة كانوا على ملة الإسلام، فانخلعوا منها، وابتعدوا عن دين الله وأحدثوا فيه، وارتدوا على أدبارهم، ولهذا يقول رسول الله (ﷺ): «**يارب مني ومن أمتي**» فيقال له: «**هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم**».

وفي الحديث الآخر عند البخاري ومسلم عن أنس عن النبي(ﷺ) قال: «**ليردن علي ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول: أصحابى، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك**»[٢].

وأما اليهود والنصارى فإنهم يقولون: يا رب! عطشنا فاسقنا فيقال لهم: ألا تردون؟ فتمثل لهم النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا فينطلقون إليها فيتساقطون فيها كما في الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله(ﷺ) قال: «... **إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير أهل الكتاب، فيدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله، فيقال: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم: ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضها، فيتساقطون في النار، ثم يدعى النصارى، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا! فاسقنا، قال: فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها**

(١) البخاري (٦٥٩٣) مسلم(٥٩٢٨).

(٢) البخاري (٦٥٨٢)، مسلم(٥٩٥١).

بعضًا، فيساقون في النار ... ...»[١]

٩- إزلاف الجنة للمتقين وإبراز النار للغاوين:

زيادة في تكريم أهل الإيمان وهم موقوفون في أرض المحشر، فإن الله سبحانه يدني الجنة منهم ويقربها إليهم فيرونها رؤيا عين، ويرون ما ينتظرهم فيها من النعيم المقيم، قال تعالى: ﴿**وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[٢] وقال تعالى: ﴿**وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ**﴾[٣].

قال صديق خان:

أي قربت وأدنيت لهم ليدخلوها أو بحيث يشاهدونها من الموقف، ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بأنهم المحشورون إليها[٤].

ومبالغة في ترويع وترهيب أهل الشيطان فإن الله يعرض عليهم جهنم عرضًا، ويظهرها لهم حال وقوفهم بأرض الحشر ليكون ذلك أبلغ في تعذيبهم وتخويفهم، قال تعالى: ﴿**وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ**﴾[٥].

قال صديق خان:

أي جعلت بارزة لهم، والمراد بهم الكافرون الضالون عن طريق الحق الذي هو الإيمان والتقوى.

والمعنى أنها أظهرت بحيث يرونها مع ما فيها من أنواع الأحوال الهائلة، ويوقنون بأنهم مواقعوها، ولا يجدون عنها مصرفًا وقيل: أظهرت قبل أن يدخلوها ليشتد حزن الكافرين ويكثر سرور المؤمنين[٦].

وقال تعالى: ﴿**وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ**

---

(١) البخاري(٤٥٨١)، مسلم(٤٥٣). (٢) الشعراء: (٩٠).
(٣) ق: (٣١). (٤) فتح البيان: (٩/ ٣٩٤)
(٥) الشعراء: (٩١). (٦) فتح البيان: (٩/ ٣٩٤)

الذِّكْرَىٰ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿**وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا**﴾[٢].

قال الحافظ ابن كثير: يقول تعالى مخبرًا عما يفعله بالكفار يوم القيامة، أنه يعرض عليهم جهنم، أي: يبرزها لهم، ويظهرها ليروا ما فيها من العذاب والنكال قبل دخولها ليكون ذلك أبلغ في تعجيل الهم والحزن لهم[٣].

وفي الحديث عن ابن مسعود قال: قال رسول الله (ﷺ): «**يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»[٤].

قال المباركفوري: أي يؤتى بها من المكان الذي خلقها الله تعالى فيه ويدل عليه قوله تعالى: ﴿**وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ**﴾[٥].

١٠- أحوال كل فريق عند تطاير الكتب والعرض والحساب:

يطول بالناس الوقوف في أرض المحشر انتظارًا للفصل والقضاء وقد أصابهم من الهم والغم مالا يطيقونه، لا يدرون ما يفعل بهم، وما هو مآلهم ومصيرهم حتى يجيء الرب (سبحانه وتعالى) للفصل والقضاء كما يشاء، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفًا صفوفًا، كما قال تعالى: ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**﴾[٦].

وكل أمة يومئذ جاثية على ركبها من هول ما هم فيه، انتظارًا للحساب، قال تعالى: ﴿**وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[٧].

---

(١) الفجر: (٢٣). (٢) الكهف: (١٠٠).

(٣) التفسير: (٣/ ١٠٧). (٤) مسلم(٧٠٩٣) الترمذي (٢٥٧٣).

(٥) تحفة الأحوذي (٧/ ٢٩١).

(٦) الفجر: (٢٢).

(٧) الجاثية: (٢٨).

فتتطاير الكتب التي سطرت فيها أعمال العباد حال حياتهم الدنيوية، وسجل عليهم فيها ما عملوه من خير أو شر، أحصاه الله ونسوه، قد سجلتها عليهم الملائكة الحفظة قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾[1].

فيأخذ أهل اليمين كتبهم بأيمانهم، وأهل الشمال كتبهم بشمائلهم ومن وراء ظهورهم، ولا تتسلم الكتاب سوى اليد التي أذن الله لها أن تتسلمه، فإن كان من أهل اليمين مدت يده اليمنى، بإذن ربها، وإن كان من أهل الشمال مدت اليد اليسرى بإذن ربها، ولا إرادة للإنسان يومئذ في استلام كتابه بأي يد شاء، فالإرادة حينئذ تنعدم، وتزعن الجوارح لأمر ربها.

ويأتي الأمر الإلهي لكل إنسان بقراءة كتابه بنفسه ليكون عليها شهيدا، قال تعالى: ﴿ **وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا** ﴾[2].

فيقف الإنسان بين يدي ربه خاشعًا ذليلاً خائفًا مرتجفًا، يقرأ كتابه، فإذا به لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، قد حوى كل ما عمله من خير وشر ،كبير وصغير، أحصاه الله ونساه العبد، حتى إذا كان يوم القيامة وجده مسطرًا تسطيرًا، وينادي عليه: ﴿ **هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾[4].

فيحاسب الإنسان على كل أعماله التي عملها، ويستنطقه ربه، ويسأله عن كبيرها وصغيرها، وخيرها وشرها قال رسول الله (ﷺ): « **ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله (عز وجل) ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا**

---

(١) الانفطار: (١٠- ١٢).
(٢) ق: (١٧، ١٨).
(٣) الإسراء: (١٣، ١٤).
(٤) الجاثية: (٢٩).

يرىٰ إلا ما قـدم، وينظر أشأم منه فـلا يرىٰ إلا ما قدم، وينظر بـين يديه فلا يرىٰ إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة»[١].

وعن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله (ﷺ): «**لا تزولا قدما عبد يوم القيامة حتىٰ يسأل عن عمره فيـما أفناه، وعن علمه فيما فعل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسده فيما أبلاه**»[٢].

فأما المؤمن فإنه يحاسب حسابًا يسيرًا قال تعالىٰ: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا**﴾[٣].

وكـمـا في الحـديث عن عـائشـة (رضي الله عنها) قـالـت: قـال رسـول الله (ﷺ): «**ليس أحد يحاسب إلا هلك**»، قالت: قلت يا رسول الله! جعلني الله فـداك، أليس يقـول الله عـز وجل: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا**﴾، قال: «**ذلك العرض يعرضـون ومن نوقش الحساب هلك**»[٤].

نقل الحافظ ابن حجر عن القرطبي قوله: معنىٰ قوله: «**إنما ذلك العرض**» أن الحساب المذكور في الآية إنما هو أن تعرض أعمال المؤمن عليه حتىٰ يعرف منة الله عليه، في سترها عليه في الدنيا، وفي عفوه عنها في الآخرة»[٥].

ويعرض علىٰ المؤمن حسناته وسيئاته، فـيقرؤها في كتابه حتىٰ إذا ظن أنه قد هلك بسبب سيئاته وجد الله تعالىٰ أبدلها حسنات، بمغفرته ورحمته،

---

(١) البخاري (٦٥٣٩)، مـسلم (٢٣٤٥) الترمذي (٢٤١٥) ابن ماجـة (١٨٥) عن عدي بن حاتم.

(٢) الترمذي (٢٤١٧) صحيح الجامع (٧٣٠٠).

(٣) الانشقاق: ٨,٧

(٤) البخاري (٤٩٣٩)، مسلم (٧١٥٤) ،الترمذي (٣٣٣٧) .

(٥) فتح الباري (١١/ ٤١٠).

منة منه وتفضلاً على عبده المؤمن.

وفي حديث النجوى عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**يدنو المؤمن يوم القيامة من ربه (عز وجل) حتى يضع عليها كنفه فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أي رب أعرف. قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم، فيعطى صحيفة حسناته، وأما الكافر والمنافق فينادى بهم على رءوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على الله**»[1].

فهذا شأن المؤمن يستر الله عليه في الآخرة ويعفو عن سيئاته كما ستر عليه في الدنيا حال ارتكابه لهذه السيئات، وكل من ستر أخاه المسلم في الدنيا، يستره الله يوم القيامة، ويعفو عنه كما قال رسول الله (ﷺ): «**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ...**»[2].

وما أن يتيقن المؤمن أنه من الناجين من عذاب الله، المغمورين برحمته، الفائزين بجنته، عرض كتابه على من لقيه من أهله وعشيرته قائلاً: ﴿**هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ**﴾[3]. أي كنت على علم ويقين من لقاء الله ومحاسبته إياي.

وهناك صنف من أهل الإيمان يدخلهم ربهم الجنة بغير حساب، أي لا يحاسبون كما يحاسب غيرهم من الناس، ففي الحديث عن أبي هريرة أن

---

(١) البخاري (٢٤٤١) مسلم (٦٩٤٦) ابن ماجة (١٨٣).

(٢) مسلم (٦٧٩٣) أبو داود (٤٩٣٨) ابن ماجة (٢٢٥) عن أبي هريرة.

(٣) الحاقة: (١٩، ٢٠).

رسول الله (ﷺ) قال: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب**». فقال رجل: يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «**اللهم اجعله منهم**». ثم قام آخر، فقال: يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «**سبقك بها عكاشة**»[١].

وفي حديث أبي أمامة قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفًا وثلاث حثيات من حثيات ربي**»[٢].

وقد جاء في صفتهم ما رواه عمران بن حصين أن رسول الله (ﷺ) قال: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب**» قالوا: من هم يارسول الله؟ قال: «**هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون**» [٣].

قال القرطبي في التذكرة:

لا تظن أن من استرقى واكتوى لا يدخل الجنة بغير حساب، فإن النبي (ﷺ) رقي نفسه، وأمر بالرقى، وكذلك كوى أصحابه ونفسه فيما ذكر الطبري وغيره، فحمل النهي عن رقى مخصوصة بدليل قوله لآل عمرو بن حزم: «**اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن شركًا**».

وكذلك الكي الذي لا يوجد عنه غنى فمن فعله في محله وعلى شرطه، لم يكن ذلك مكروهًا في حقه ولا منقصًا له في فضله، ويجوز أن يكون من السبعين ألفًا[٤].

---

(١) مسلم (٥١٩).

(٢) الترمذي (٢٤٣٧) ابن ماجة (٤٢٨٦) أحمد (٥/ ٢٦٨) ابن حبان (٧٢٤٦) صحيح الجامع (٧١١١).

(٣) مسلم (٥٢٤). (٤) التذكرة: (٢/ ٨٠).

قال الحافظ ابن حجر:

ولم أر في أثر صحيح أن النبي اكتوى إلا أن القرطبي نسب إلى «كتاب أدب النفوس» للطبري أن النبي (ﷺ) اكتوى، وذكر الحليمي بلفظ: «روي أنه اكتوى للجرح الذي أصابه بأحد». قلت: والثابت في الصحيح كما تقدم في غزوة أحد: «إن فاطمة أحرقت حصيرًا فحشت به جرحه» وليس هذا الكي المعهود، وجزم ابن التين بأنه اكتوى، وعكسه ابن القيم في الهدى[1].

وغاية القول أن من استرقى أو اكتوى لا يمنعه هذا من دخول الجنة بغير حساب متى كان ذلك مشروعًا موافقًا لمنهج السنة لا تشوبه أمور شركية. وأما الكافر فإن الله يعرض عليه كتابه، فيقرؤه، فلا يجد فيه سوى سيئاته، أما حسناته التي كان قد فعلها في دنياه فإن الله قد أحبطها له، وجعلها هباءً منثورًا قال تعالى: ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا** ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ **مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ** ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾[4].

وفي الحديث عن أنس قال: قال رسول الله(ﷺ): «**إن الله (تعالى) لا يظلم المؤمن حسنة يعطى عليها في الدنيا، ويثاب عليها في الآخرة، وأما الكافر**

---

(١) فتح الباري: (١٠/ ١٦٤).

(٢) الفرقان: ٢٣.

(٣) إبراهيم: ١٨.

(٤) النور: ٣٩.

فيطعم بحسناته في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يعطى بها خيراً»[١].

فالأعمال التي عملها أهل الكفر في دنياهم، وظنوا أنها نافعة لهم، يحبطها الله، لأنها فقدت شرط القبول المتمثل في إخلاص العمل لله، ومتابعة شرع الله.

فعبادتهم غير الله واعتقادهم أنهم بهذا يتقربون إلى الله، وجعلهم النذور والقرابين لغير الله معتقدين أنها لله، كل هذه الأعمال وغيرها التي اعتقدوها قربة عند الله ومنجاة من عذابه أحبطها الله لهم.

ولا يجد الكافرون يومئذ من أعمالهم سوى السيئات التي اقترفوها، فيجحدونها، ويقسمون بربهم قائلين: ﴿**وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ**﴾[٢]

فيبعث الله عليهم شهداء من أنفسهم: جلودهم، وأبصارهم، وأيديهم وأرجلهم ويختم على أفواههم فتشهد عليهم جوارحهم، وتقر بأعمالهم الخبيثة، قال تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾[٤].

وفي الحديث عن أنس بن مالك قال: كنا عند رسول الله (ﷺ) فضحك، فقال: «**هل تدرون مم أضحك؟**» قال: قلنا: الله ورسوله أعلم،

---

(١) مسلم (٢٠٧٠).

(٢) الأنعام: (٢٣).

(٣) ياسين: (٦٥).

(٤) فصلت: (٢٠، ٢١).

قال: «**من مخاطبة العبد لربه، فيقول: يارب! ألم تجرني من الظلم؟ قال: بلى، قال: فيقول: إني لا أجيز على نفسي إلا شاهدًا مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا، وبالكرام الكاتبين شهودًا، قال: فيختم على فيه، فيقال لأركانه: انطقي قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يخلي بينه وبين الكلام، قال: فيقول: بعدًا لكن وسحقًا، فعنكن كنت أناضل**»[١].

وعن عقبة بن عامر أنه سمع النبي(ﷺ) يقول: «**إن أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يختم على الأفواه، فخذه من الرجل الشمال**»[٢].

فهناك يعتري الكافر الندم والحسرة على ما فرط في جنب الله، ويقول: ﴿**يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ**﴾[٣].

أي: ياليت موتته التي ماتها في الدنيا قد دامت ولم يبعثه الله بعدها مرة أخرى، ليرى سوء منقلبه.

قال قتادة: تمنى الموت ولم يكن شيئًا في الدنيا أكره عنده من الموت[٤].

ولا ينفع الكافر يومئذ شيء مما كان يستنصر به في دنياه، لا ماله، ولا جاهه، ولا سلطانه، ولا أهله ولا عشيرته، ولا شيء من هذا القبيل، حتى أنه يعدد هذه الأشياء بنفسه، ويقر أنها ما أغنت عنه من عذاب الله شيئًا، فيقول كما حكى القرآن الكريم: ﴿**مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ**﴾[٥].

---

(١) مسلم (٧٣٦٥).

(٢) أحمد (٤/ ١٥١) الطبراني في الكبير (١٧/ ٣٣٣) مجمع الزوائد (١٨٣٩٩) وحسنه شعيب الأرنؤوط في المسند.

(٣) الحاقة: (٢٥- ٢٧).

(٤) ابن جرير في جامع البيان (٢٩/ ٣٩). (٥) الحاقة: (٢٨، ٢٩).

ويتمنى الكافر يومئذ لو يفدي نفسه بأحب الناس إليه، وأعزهم عنده، بل وبكل ما في الأرض، فلا يقبل منه، قال الله تعالى: ﴿ **يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ * كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ** ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[2].

وفي الحديث: «**يقال للكافر يوم القيامة أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبًا، أكنت تفتدي به؟فيقول:نعم، فيقال له :قد سئلت أيسر من ذلك**»[3].

ولا يجد الكافر يومئذ لنفسه خلاصًا ولا مخرجًا مما قد حل به من الهلاك، ويأمر الله زبانية العذاب أن تأخذه إلى جهنم قائلاً لهم: ﴿ **خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ** ﴾[4].

١١- نسيان الله لأهل الكفر:

ينسى الله (عز وجل) أهل الكفر يوم القيامة والمراد بنسيانه سبحانه تركه لهم، وإهماله إياهم، وليس المراد حقيقة النسيان، فهو (سبحانه وتعالى) منزه عن ذلك، لا ينسى ولا ينبغي له أن ينسى، وإنما يترك أهل الكفر هملاً ويعاملهم معاملة الناسي لهم، فلا يستجيب لهم في شيء، ولا يسمع لهم

---

(١) المعارج (١١، ١٥).

(٢) المائدة: (٣٦).

(٣) البخاري (٦٥٣٨) مسلم (٧٠١٦) عن أنس.

(٤) الحاقة: (٣٠، ٣٧).

قولاً، ولا يغفر لهم ذنبًا، ولا يقر لهم بحسنة، ولا يرحمهم من عذابه، ولا يشفع فيهم أحدًا، بل يعرض عنهم ويتركهم بلا مغفرة ولا رحمة، ولا شفاعة، وذلك معاملة لهم من جنس أفعالهم في الدنيا، فهم الذين تركوا آيات الله وأعرضوا عنها، وتناسوها، واستهزءوا بها، وتغافلوا عن لقائه، وتركوا العمل من أجله، وأنكروا البعث والحساب، وركعوا وسجدوا لغير الله من الآلهة، وقدموا لها النذور وقربوا إليها القرابين، وسخروا أنفسهم وأموالهم في طاعتها وموالاتها، ونسوا ربهم الذي كلما دعتهم رسله إلى عبادته وتوحيده أعرضوا عنهم وتجاهلوهم، فعاملهم الله بمثل صنيعهم جزاءً وفاقًا، تركهم كما تركوا طاعته وتناساهم كما تناسوه قال تعالى: ﴿ **فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ** ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ **وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ** وما لكم من ناصرين ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى** ﴾[3].

وفي الحديث روى الترمذي عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا: قال رسول الله (ﷺ): «**يؤتى بالعبد يوم القيامة، فيقول له: ألم أجعل لك سمعًا وبصرًا ومالاً وولدًا، وسخرت لك الأنعام والحرث وتركتك ترأس وتربع، فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا؟ قال: فيقول: لا. فيقول له: اليوم أنساك كما نسيتني**»[4].

قال أبو عيسى: ومعنى قوله: اليوم أنساك كما نسيتني يقول: «اليوم

---

(١) الأعراف: (٥١).

(٢) الجاثية: (٣٤).

(٣) طه: (١٢٥، ١٢٦).

(٤) الترمذي (٢٤٢٨) صحيح الجامع (٧٩٩٧)

أتركك في العذاب» هكذا فسروه.

أما المؤمن فإن الله لا ينساه أبدًا، وإنما يغمره بمغفرته ويشمله برحمته وفضله، ويستر عليه، ويشفع له، ويشفع فيه، ويشفعه ويجعل له فداء من النار.

١٢- عجز أهل الكفر والنفاق عن السجود لله:

يؤذن مؤذن يوم القيامة: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ومن كان يعبد القمر القمر، ومن كان يعبد الأصنام الأصنام، ويتبع كل من عبد غير الله معبوده، فيتساقطون في النار جميعًا، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها قد استتروا في أهل الإيمان زاعمين أنهم منهم، فيفضحهم الله على رءوس الأشهاد يوم القيامة حين يكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن، ويبقى من كان يسجد لله في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا؛ لأن الله قد جعل أصلابهم يابسة فلا تلين للسجود، فإذا أراد أن يسجد خر لقفاه.

قال تعالى: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ**﴾[1].

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «**هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوًا؟**» قلنا: لا، قال: «**فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما**» ثم قال: «**ينادي مناد ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع**

---

(١) القلم: (٤٢).

أوثانهم، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر وغبرات من أهل الكتاب، ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب، فيقال لليهود: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيراً ابن الله، فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ قالوا: نريد أن تسقينا، فيقال: اشربوا فيتساقطون في جهنم، ثم يقال للنصارى: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال: كذبتم، لم يكن لله صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ فيقولون: نريد أن تسقينا، فيقال: اشربوا فيتساقطون، حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر، فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس، فيقولون: فارقناهم ونحن أحوج منا إليهم اليوم، وإنا سمعنا مناديًا ينادي: ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون، وإنما ننتظر ربنا. قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا؟! فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: الساق. فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن، ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا...»[1].

وفي معنى قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾.

قال ابن عباس: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ عن أمر عظيم.

كقول الشاعر: وقامت الحرب بنا على ساق. وعنه أيضًا قال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ هو الأمر الشديد المفظع من الهول يوم القيامة.

وعن مجاهد: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: شدة الأمر وجده.

وقال ابن عباس: هي أشد ساعة في يوم القيامة.

وقال سعيد بن جبير: هي شدة الأمر قال قتادة: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: عن أمر فظيع جليل[2].

---

(١) البخاري (٧٤٣٩) مسلم (٤٥٣). (٢) روى هذه الآثار: ابن جرير في جامع البيان: ٢٩/ ٢٤.

نقل صديق خان في تفسيره عن الواحدي قوله: قال المفسرون في قوله: ﴿عَن سَاقٍ﴾ عن شدة من الأمر وصعوبة الخطب، قال ابن قتيبة: أصل هذا إن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى الجد فيه شمر عن ساقه، فيستعار الكشف عن الساق في موضع الشدة، قال: وتأويل الآية: يوم يشتد الأمر كما يشتد ما يحتاج فيه إلى أن يكشف عن ساق، قال أبو عبيدة: إذا اشتد الحرب والأمر قيل كشف الأمر عن ساقه، والأصل فيه: من وقع في شيء يحتاج فيه إلى الجد شمر عن ساقه، فاستعير الساق والكشف عن موضع الشدة، وهكذا قال غيره من أهل اللغة، وقد استعملت ذلك العرب في أشعارها، وكثر في كلامهم حتى صار كالمثل للأمر العظيم الشديد فهذا التركيب من قبيل الكناية أو الاستعارة التمثيلية.

قال الزمخشري:

والكشف عن الساق والإبداء عن الحزام مثل في شدة الأمر وصعوبة الخطب، وقيل الساق الشيء أصله وقوامه، كساق الشجرة، وساق الإنسان أي يوم يكشف عن ساق الأمر فتظهر حقائقه، وقيل يكشف عن ساق جهنم، وقيل: عن ساق العرش وقيل: هو عبارة عن القرب، وقيل: يكشف عن ساق الرب سبحانه عن نوره[1].

وقال القرطبي:

فأما ما روي أن الله يكشف عن ساقه فإنه عز وجل يتعالى عن الأعضاء، والتبعيض وأن يكشف ويتغطى. ومعناه أن يكشف عن العظيم من أمره، وقيل: يكشف عن نوره عز وجل ثم ساق حديث أبي موسى

---

(١) فتح البيان: (١٤/ ٢٧٢).

السابق[١].

وقال الرازي بعد أن ساق قول المشبهة أنه ساق الله: واعلم أن هذا القول باطل لوجوه أحدها: إن الدلائل دلت على أن كل جسم محدث لأن كل جسم متناه، وكل متناه محدث، ولأن كل جسم محدث فإنه لا ينفك عن الحركة، والسكون، وكل ما كان كذلك فهو محدث، ولأن كل جسم ممكن، وكل ممكن محدث.

وثانيها: أنه لو كان المراد ذلك لكان من حق الساق أن يعرف، لأنها ساق مخصوصة، معهودة عنده وهي ساق الرحمن أما لو حملناه على الشدة، ففائدة التنكير الدلالة على التعظيم، كأنه قيل يوم يكشف عن شدة، وأي شدة، أي شدة لا يمكن وصفها.

ثالثها: إن التعريف لا يحصل بالكشف عن الساق، وإنما بكشف الوجه[٢].

فهذه أقوال أهل العلم في معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ وهي كما ترى تنفي أن يكون المراد بالساق في معنى الآية ساق الله، لأنه سبحانه منزه عن التشبيه.

١٣- تمني أهل الشيطان الرجعة إلى دار الدنيا:

بعد ما يعاين أهل الشيطان القيامة وأهوالها، وشدة أمرها، ويقفون بين يدي الله عز وجل ليفصل بينهم، وتتعين لهم الحقيقة التي طالما كذبوها وأنكروها وقد اعتراهم الذل والصغار، ونكسوا رءوسهم عند ربهم وتبين لهم أن كل ما أخبرهم الله به عن القيامة وأهوالها على لسان رسله في دار الدنيا،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: (١٠/٦٩٧٦).

(٢) مفاتيح الغيب: (١٥/٦٧٢).

وما أعده للصالحين من النعيم المقيم، وللطالحين من العذاب الأليم حقيقة لا يعتريها الإنكار والجحود، تمنوا الرجوع إلى دار الدنيا مرة أخرى كي يعملوا فيها صالحًا. وأنى لهم ذلك؟ فهيهات هيهات لما يريدون، فقد حق عليهم العذاب ولا رجعة لهم بعد اليوم، لأن الله الذي خلقهم أعلم بهم من أنفسهم، فهو يعلم أنهم لو أجيبوا لمطلبهم وردوا إلى دار الدنيا لعادوا لما كانوا عليه من الكفر والضلال والتكذيب بآيات الله ورسله. قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ** ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ **وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ** ﴾[2].

١٤- تخاصم أهل الشيطان في عرصات القيامة:

هذا الموقف من مواقف الذل والصغار الذي يتعرض له أهل الشيطان في عرصات القيامة، فمتى تبدت لهم الحقائق التي طالما أنكروها وكذبوها، وعاينوا البعث والحساب والجنة والنار، وتكشفت لهم الأمور التي غابت عنهم، وقرءوا كتبهم وعاينوا أعمالهم التي سطرتها عليهم الملائكة، وأحصاها عليهم ربهم وتيقنوا أنهم لا محيص لهم عن العذاب الأليم الذي ينتظرهم، تجادلوا وتخاصموا وتلاوموا فيما بينهم، وألقى كل منهم باللائمة على الآخر، فالتابع يلقي اللوم على المتبوع مدعيًا أنه كان السبب فيما أفضوا إليه من الخلود الأبدي في دار الشقاء، يريد بذلك أن يكون العذاب على

(١) السجدة: ١٢ .

(٢) إبراهيم: ٤٤ .

المتبوع دونه، والمتبوع يتنصل من التابع وينكر تضليله إياه ويلقي باللائمة على التابع مدعيًا أنه الذي اختار ذلك وارتضى الكفر لنفسه، فصارت طاعة بعضهم لبعض في دار الدنيا ومحبة كل منهم للآخر سببًا لعداوتهم يوم القيامة قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۝ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[2].

١٥- تبرؤ المعبودين من دون الله من عابديهم:

يتبرأ كل معبود من دون الله يوم القيامة ممن عبدوه في دار الدنيا.

تبرؤ الملائكة من عابديهم:

يسأل الله الملائكة يوم القيامة عمن عبدوهم في دار الدنيا، واتخذوهم آلهة من دون الله، فتتبرأ الملائكة من عابديهم ويشهدون أنهم ما دعوهم إلى عبادتهم، أو سهلوا لهم أمرًا من الأمور لأجل هذه العبادة، وأنهم إنما كانوا يعبدون الجن، ويؤمنون بعبادتهم، وأن الذي أغواهم ودعاهم إلى ذلك الشياطين فزينوا لهم عبادة غير الله فأطاعوهم فيما زينوه لهم.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم

---

(١) سبأ: ٣١-٣٣. (٢) البقرة: ١٦٦، ١٦٧.

مُؤْمِنُونَ ﴾[١].

فيقول الله عز وجل: ﴿ فَالْيَوْمَ لا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ ﴾ أي يوم القيامة لا تنفع معبود من دون الله عابده في شيء مما كان يرجوه منه في هذا اليوم.

تبرؤ المسيح من عابديه:

يتبرأ المسيح (عليه السلام) يوم القيامة على رءوس الأشهاد من النصارى الذين عبدوه وأمه من دون الله، وذلك في حضرتهم ليكون ذلك أبلغ في تهديدهم، وتوبيخهم وتقريعهم.

فحينما يسأله ربه: ﴿ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾[٣] فيجيبه (عليه السلام) في تأدب وخشوع: ﴿ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[٤].

فيبدأ عيسى (عليه السلام) بتنزيه ربه عن كل مالا يليق به، ثم بعد ذلك ينفي أن يكون طلب منهم عبادته، وكيف يقول لهم ذلك؟ إن هذا ليس من حقه، وما بعث من أجله، ولو أنه قاله لعلمه الله؛ لأنه وحده علام الغيوب، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وهو وحده الذي يعلم ما يضمر عيسى في نفسه، ولو أضمر مثل هذا لعلمه الله، ولهذا قال: ﴿ إن

(١) سبأ: (٤٠، ٤١). (٢) سبأ: (٤٢).

(٣، ٤) المائدة: (١١٦- ١١٨).

كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾.

ثم ينفي (عليه السلام) أن يكون قال لهم إلا ما أمره الله به من التوحيد الخالص لله ربه وربهم، وبقي على دعوته لهم إلى أن توفاه الله، ثم بعد مماته كان الله هو الرقيب على أقوالهم وأفعالهم؛ لأنه على كل شيء شهيد، فهو سبحانه الشهيد على ما قاله لهم حال حياته، وما فعلوه بعد مماته.

ويختم عيسى (عليه السلام) كلامه بتفويض أمرهم إلى الله ليتصرف فيهم كيف يشاء؛ لأنه ربهم ومالكهم وهم عبيده وعيسى عبد من عباده لا يملك من أمرهم شيئًا، فلا يشفع لهم ولا ينفعهم ولا يضرهم، ولا يستنصر لهم وإنما الأمر كله لله وحده.

تبرؤ عامة الآلهة من عابديها:

إن التبرؤ الحاصل من الآلهة لمعبوديها في عرصات القيامة لا يقتصر على آلهة دون أخرى، وإنما يعم كل الآلهة، فالملائكة، وعيسى، والجن، والأصنام، والكواكب، والنجوم، وكل ما عبد من دون الله يتبرءون من عابديهم بعد أن ينطقهم الله الذي أنطق كل شيء.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾[1].

فعامة الآلهة حين تسأل عن تضليلها لعابديها تفتتح جوابها بتنزيه الله عن كل مالا يليق به قائلة: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تمامًا كما فعل عيسى والملائكة (عليهم السلام) ثم بعد ذلك تنفي أن تكون قد أضلت أحدًا من عباد الله

(١) الفرقان: (١٧، ١٨).

وصرفته عن طريق الهداية والإيمان بالله قائلة: ﴿ **مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ** ﴾ أي ما صح ولا استقام لنا أن نتخذ أولياء من دونك، وكيف ندعوهم إلى عبادتنا ونحن عبيدك نعبدك ونوحدك؟ إننا ما دعوناهم لذلك، وإنما هم فعلوه من أنفسهم من غير أمرنا ولا رضانا، ونحن برآء منهم ومن عبادتهم إيانا، وتذكر الآلهة سبب تضليلهم قائلة: ﴿ **وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا** ﴾[(١)] وانصرافهم عن عبادتك وطاعتك يا ربنا أنك متعتهم وآباءهم في الدنيا وبسطت لهم الرزق وأطلت لهم العمر فساعدهم ذلك على معصيتك ونسيان ذكرك. فيقول تعالى لعابديهم متوعدًا إياهم: ﴿ **فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا** ﴾ [(٢)].

فصارت الآلهة التي كانوا يعتقدون أنها تقربهم إلى الله زلفى، وتشفع لهم عنده سببًا في هلاكهم وعذابهم وخلودهم في الجحيم، فتتقطع بينهم حينئذ أواصر الود والمحبة، ويكفر بعضهم بعضًا ويلعن بعضهم بعضًا كما قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ** ﴾[(٣)].

وقال تعالى: ﴿ **وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا** ﴾[(٤)].

---

(١) الفرقان: (١٨).

(٢) الفرقان: (١٩).

(٣) الأحقاف: (٥، ٦).

(٤) مريم: (٨١، ٨٢).

وكما قال الخليل إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿**إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ**﴾[1].

فتصبح كل خلة كانت بين أهل الشيطان في الدنيا عداوة يوم القيامة حين يروا العذاب وتنقطع بهم الأسباب، ويتبرأ المتبوع من التابع، والتابع من المتبوع، والمعبود من العابد والعابد من المعبود، ويتبين لهم أن الأمور التي من أجلها نشأت هذه الخلة كانت سببًا في هلاكهم يوم القيامة وصدق الله إذ يقول: ﴿**الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**﴾[2].

١٦- عقوبة مانعي الزكاة:

وعد الله أصحاب الأموال البخلاء الذين يكنزون أموالهم ولا ينفقونها في سبيل الله، ولا يخرجون عنها زكاتها بالعذاب الأليم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ**﴾[3].

قال بعض أهل العلم: وإنما خص الوجه والجنب والظهر بالكي من بين سائر الأعضاء لأن الكي في الوجه أشهر وأشنع وفي الجنب والظهر آلم وأوجع.

وفي الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): «**من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له ماله شجاعًا أقرع له زبيتان يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمتيه يعني بشدقيه، يقول أنا مالك، أنا كنزك**» ثم تلا هذه الآية:

---

(١) العنكبوت: (٢٥) . (٢) الزخرف: (٦٧).

(٣) التوبة: (٣٤، ٣٥).

﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[(١)].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة، صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضي بين العباد، فيرى سبيله، إما إلى الجنة، وإما إلى النار»، قيل: يا رسول الله! فالإبل؟ قال: «ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها، ومن حقها حلبها يوم وردها، إلا إذا كان يوم القيامة، بطح لها بقاع قرقر[(٢)] أوفر ما كانت، لا يفقد منها فصيلاً واحداً، تطؤه بأخفافها، وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضي الله بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار» قيل: يا رسول الله! فالبقر والغنم؟ قال: «ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر، لا يفقد منها شيئًا ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء[(٣)] تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها، كلما مرت عليه أولاها رد عليه أخراها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضي الله بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار».

قيل يا رسول الله! فالخيل؟ قال: « الخيل ثلاثة: هي لرجل وزر، وهي لرجل ستر وهي لرجل أجر، فأما التي هي له وزر، فرجل ربطها رياءً وفخراً

(١) آل عمران: (١٨٠). (٢) قرقر: الأملس الواسع من الأرض.

(٣) عقصاء: الملتوية القرنين جلحاء: لا قرن لها العضباء: التي انكسر قرنها الداخل

ونـواء[١] على أهل الإسلام، فهي له وزر، وأما التي هي له ستر، فرجل ربطها في سبيل الله، ثم لم ينس حق الله في ظهورها ولا رقابها، فهي له ستر، وأما التي هي له أجر، فرجل ربطها في سبيل الله لأهل الإسلام، في مرج وروضة فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة من شيء إلا كتب له عدد ما أكلت حسنات، وكتب له عدد أرواثها وأبوالها حسنات ولا تقطع طولها فاستنت شرفًا أو شرفين[٢] إلا كتب الله له آثارها وأرواثها حسنات، ولا مر بها صاحبها على نهر فشربت منه ولا يريد أن يسقيها إلا كتب الله له عدد ما شربت حسنات» قيل : يا رسول الله! فالحمر؟ قال: «ما أنزل علي في الحمر شيء إلا هذه الآية الفاذة الجامعة: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[٣]»[٤].

قال القرطبي في التفسير: قلت: ولعل هذا يكون في مواطن: موطن يمثل المال فيه ثعبانًا، وموطن يكون صفائحًا، وموطن يكون رضفًا[٥]، فتتغير الصفات والجسمية واحدة، فالشجاع جسم، والمال جسم، وهذا التمثيل حقيقة، بخلاف قوله: «يؤتى بالموت كأنه كبش أملح» فإن تلك طريقة أخرى، ولله أن يفعل ما يشاء.[٦]

١٧ـ فضيحة الغال: «الغلول: الخيانة في المغنم»

قال النووي: أصل الغلول الخيانة مطلقًا، ثم غلب اختصاصه في الاستعمال بالخيانة في الغنيمة.[٧]

(١) نواء: مناوأة ومعاداة.

(٢) ولا تقطع طولها فاستنت شرفاً: الطول: الحبل الذي تربط فيه. واستنت أي جرت والشرف: العالي من الأرض.

(٣) الزلزلة: (٧، ٨).

(٤) البخاري (٢٣٧١)، مسلم (٢٢٨٧)

(٥) الرضفة: الحجر المحمي بالنار.

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٤/٣٠٥٦).

(٧) مسلم بشرح النووي (١٢/ ٤٢٠).

والغال: الذي يخون في المغنم، بأن يأخذ لنفسه شيئًا يستره عن أصحابه. ولقد توعد الله الغال بالعقوبة الشديدة، والعذاب الأليم، والفضيحة على رءوس الأشهاد يوم القيامة، فتراه يأتي حاملاً لما غل على ظهره ورقبته معذبًا بحمله ومرعوبًا بصوته توبيخًا له وإظهارًا لخيانته.

قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾[1].

قال القرطبي في التفسير:

هذه الفضيحة التي يوقعها الله تعالى بالغال، نظير الفضيحة التي توقع بالغادر، في أن النصيب له لواء عند أسته بقدر غدرته، وجعل الله هذه المعاقبات حسبما يعهده البشر ويفهمونه، ألا ترى إلى قول الشاعر:

أَسُمَيُّ ويحك هل سمعت بغُدْرة ∴ رفع اللواء لنا بها في المجمع

وكانت العرب ترفع للغادر لواءً، وكذلك يطاف بالجاني مع جنايته[2].

وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: قام فينا رسول الله (ﷺ) ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره، ثم قال: «**لا ألقين أحدكم يجيء يوم القيامة، على رقبته بعير له رغاء**[3]، **يقول: يا رسول الله! أغثني فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة، فيقول: يا رسول الله!: أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة، على رقبته شاة لها ثغاء يقول: يا رسول الله! أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم**

---

(١) آل عمران: (١٦١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: (٢/ ١٦٠).

(٣) الرغاء: صوت البعير، وكذا المذكورات بعد كل شيء بصوته

القيامة على رقبته نفس لها صياح، فيقول: يا رسول الله! أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع[1] تخفق، فيقول: يا رسول الله! أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة وعلى رقبته صامت[2] فيقول: يا رسول الله! أغثني فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك» [3].

وعن أبي حميد الساعدي قال: استعمل رسول الله (ﷺ) رجلاً من الأسد يقال له اللتبية على الصدقة فلما قدم قال: هذا لكم، وهذا أهدى لي قال: فقام رسول الله (ﷺ): على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «**ما بال عامل أبعثه فيقول: هذا لكم وهذا أهدى له، أفلا قعد في بيت أبيه أو في بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا؟! والذي نفس محمد بيده! لا ينال أحد منكم منها شيئًا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه، بعير له رغاء، أو بقرة لها خوار أو شاة له تيعر»**[4].

وأخرج مسلم في صحيحه عن عدي بن عميرة الكندي قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطًا فما فوقه كان غلولاً يأتي به يوم القيامة**»[5].

فالغلول كبيرة من الكبائر عظم الله تحريمها وتوعد أهلها بالفضيحة على رءوس الأشهاد في أرض المحشر يوم القيامة فضلاً عما يلحقهم من العذاب الأليم مالم يتوبوا ويردوا الحقوق إلى أهلها.

---

(١) الرقاع والثياب
(٢) الصامت: الذهب والفضة
(٣) البخاري (٣٠٧٣). مسلم (٤٧١١).
(٤) البخاري (٢٥٩٧) مسلم (٤٧١٥).
(٥) مسلم (٤٧٢٠) أبو داود (٣٥٧٨)

❑ • ❑ أحوالهم عند الحشر إلى ❑ • ❑ الجنة والنار

ما أن ينتهي الحق (سبحانه وتعالى) من الفصل والقضاء بين العباد، ويوفي كل نفس ما عملت، ويميز الطيب من الخبيث، والسعيد من الشقي، والصالح من الطالح، وأهل الجنة من أهل النار حتى يأمر ملائكته أن يحشروا كل فريق إلى حيث مستقره ومنتهاه الأبدي، فيحشر أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، وفي أثناء هذا الحشر يلحق كل فريق أحوال تتناسب وعمله .

أولاً: أحوال أهل الشيطان:

١- سوقهم إلى جهنم سوقا عنيفا كما تساق الأنعام:

بعد ما يقضي الله على أهل الشيطان بالخلود في النار يُنَادَىٰ عليهم ﴿ **انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ* انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ* لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ** ﴾ (١)، فتسوقهم الملائكة سوقًا عنيفًا، فيه زجر وتهديد ووعيد كما قال عزوجل: ﴿ **يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا** ﴾ (٢)، أي يدفعون إليها دفعًا .

يساقون حفاة عراة مشاةً في أفواج متفرقة بعضها في أثر بعض حتى

---

(١) المرسلات: (٢٩ ـ ٣١) .

(٢) الطور: (١٣) .

يصلوا إلى شفير جهنم، كما قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [١].

وزمرًا: جماعات متفرقة، بعضها يتلو بعضًا، كل جماعة تتناسب في أعمالها وشرورها.

٢. سوقهم إلى النار عطاشًا:

يساق أهل الشيطان في أبشع صورة من الذل والصغار إلى جهنم عطاشًا كما تساق الأنعام الظمأى إلى الماء.

قال تعالى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [٢].

هذا مع الفارق العظيم بين سوق الأنعام إلى الماء، وسوق هؤلاء إلى جهنم، ذلك أن الأنعام تساق إلى الماء كي تروي ظمأها، بينما هؤلاء يساقون إلى جهنم لا ليرتوا وإنما ليشربوا ماءً كالمهل قال الله عنه: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [٣].

وفي الحديث «... **ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب، فيقال لليهود: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيرًا ابن الله، فيقال: كذبتم، لم يكن لله صاحبة ولا ولدًا، فما تريدون؟ قالوا: نريد أن تسقينا، فيقال: اشربوا فيتساقطون في جهنم، ثم يقال للنصارى: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال: كذبتم، لم يكن لله صاحبة ولا ولدًا، فما تريدون؟**

---

(١) الزمر: (٧١).

(٢) مريم: (٨٦).

(٣) الكهف: (٢٩).

فيقولون: نريد أن تسقينا، فيقال: اشربوا، فيتساقطون ... »[١].

٣. حشرهم على وجوههم إلى النار:

يحشر أهل الشيطان إلى أشر مكان وأعظم سجن على وجوههم في أقبح صورة، وأشد إهانة ومذلة، قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلاً** ﴾[٢].

وفي الحديث عن أنس (ﷺ)، أن رجلاً قال: يا رسول الله! كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «**أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟**»[٣].

٤. سوقهم في السلاسل والأغلال:

يساق أهل الشيطان من أرض المحشر إلى جهنم مسلسلين ومغللين في السلاسل والأغلال كما يساق المجرمون إلى السجون في دار الدنيا، قال تعالى: ﴿ **خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ** ﴾[٤].

٥. جمعهم على شفير جهنم جثاة على الركب:

يجمع أهل الشيطان كلهم أولهم وآخرهم على شفير جهنم، تجمعهم زبانية العذاب، كما قال تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ**

---

(١) البخاري (٧٤٣٩)، مسلم (٤٥٣) عن أبي سعيد الخدري .

(٢) الفرقان: (٣٤) .

(٣) البخاري (٦٥٢٣)، مسلم (٧٠١٨) .

(٤) الحاقة: (٣٠ ـ ٣١) .

يُوزَعُون ﴾ (١).

يوزعون: يحبس أولهم على آخرهم حتى يكتملوا .

فإذا ما عاينوا جهنم، وقد جمعت فيها كل أنواع العذاب، جثوا حولها على ركبهم، من هول الموقف، وهول ما رأوا في أذل صورة لهم، قال تعالى: ﴿ **فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا** ﴾ (٢).

وجثيًا: أي جاثين على الركب من هول الموقف وشدة العذاب كما كان حالهم في أرض المحشر.

وهم على هذه الحالة تنتزع ملائكة العذاب من كل جماعة منهم أشدهم تمردًا وعتوًا على الله، وهم القادة والرؤساء في الشر، فيقذفون بهم في أشد دركات جهنم عذابًا، قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا * ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا** ﴾ (٣).

قال ابن مسعود: يحبس الأول على الآخر حتى إذا تكاملت العدة أتاهم جميعًا، ثم بدأ بالأكابر فالأكابر جرمًا، وهو قوله: ﴿ **ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا** ﴾ (٤).

وإنما خصوا بأعظم العذاب، لأن عذاب الضال المضل ليس كعذاب الضال، فهؤلاء رؤساء وقادة في التضليل، و لهذا توعدهم الله بقوله:

---

(١) فصلت: (١٩) .

(٢) مريم: (٦٨) .

(٣) مريم : (٦٩ - ٧٠) .

(٤) رواه ابن كثير في تفسيره، (٣/ ١٣٢) .

﴿ **الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ** ﴾(١).

ولقد وصف لنا الحق تعالى الكيفية التي يقذف بها هؤلاء المجرمون في النار بقوله: ﴿ **يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ** ﴾ (٢).

فهؤلاء المجرمون لهم سمات معينة تختص بهم وتميزهم عن غيرهم، بها يعرفون، فتجمع زبانية العذاب بين ناصية المجرم وقدميه، وتقذف به في النار، أمام جموع الحاضرين .

٦ـ تقريع وتوبيخ خزنة النار لأهل الشيطان:

تقرع وتوبخ خزنة النار أهل الشيطان عند اجتماعهم على شفير جهنم، ومعاينة العذاب والنكال الذي ينتظرهم بقولهم: ﴿ **هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ * أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ** ﴾ (٣). وقولهم: ﴿ **أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا** ﴾ (٤) ، فيجيبونهم قائلين: ﴿ **بَلَى** ﴾ أي: قد أتتنا رسل الله وأنذرونا ﴿ **وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ .

فتقول لهم الملائكة: ﴿ **ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ** ﴾ (٥).

---

(١) النحل: (٨٨) .

(٢) الرحمن: (٤١) .

(٣) الطور: (١٤ ـ ١٥) .

(٤) الزمر: (٧١) .

(٥) الزمر: (٧٢) .

وكما قال تعالى: ﴿ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ * وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (١).

٧- سؤالهم الرجعة:

إذا وقف أهل الشيطان على شفير جهنم، وعاينوا ما فيها من السلاسل والأغلال، وطعامهم وشرابهم وسائر وسائل التعذيب التي تنتظرهم، تمنوا الرجوع مرةً أخرى إلى دار الدنيا كي يعملوا فيها صالحًا دون تكذيب لآيات الله ورسله، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴾ (٤).

---

(١) الملك: (٨ - ١١).

(٢) الأنعام: (٢٧ - ٢٩).

(٣) إبراهيم: (٤٤).

(٤) الشورى: (٤٤).

فهذا المطلب لا يكاد يفتر عنه أهل الشيطان في كل موقف من مواقف القيامة، فكلما عاينوا أهوال القيامة وشدائدها ورأوا العذاب ووسائله تمنوا الرجوع إلى دار الدنيا ولكن هيهات هيهات فلو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، ولأنكروا البعث والحساب وقالوا كما قالوا من قبل: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

ثانيًا: أحوال أهل الإيمان:

١- حشرهم إلى دار الكرامة:

يحشر أهل الإيمان إلى دار الكرامة والرضوان ركبانًا على نجائب من نور من مراكب الدار الآخرة، قال تعالى: ﴿**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا**﴾ (١).

قال أهل التفسير: إن في الكلام حذفًا والتقدير: «إلى جنة الرحمن ودار كرامته، وذلك كقوله تعالى: ﴿**إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾، وقول رسول الله (ﷺ): «**من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله**» ومعنى «وفدًا» أي ركبانًا لأن الوافد في الغالب يكون راكبًا.

وقد روى عبد الله بن أحمد في «المسند» وابن جرير في تفسيره عن النعمان بن سعد قال: «كنا جلوسًا عند عليٍّ، فقرأ هذه الآية﴿**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا**﴾ ، قال: لا والله! ما على أرجلهم يحشرون، ولا يحشر الوفد على أرجلهم ولكن يُؤْتُون بنوق لم تر الخلائق مثلها، عليها

---

(١) مريم: (٤٤) .

رحائل من ذهب، يركبون عليها حتى يضربوا باب الجنة»[١].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: «**يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين، وراهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، ويحشر بقيتهم النار، لتقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا**»[٢].

هذا الحديث ذكرته ها هنا على ما فيه من خلاف بين شراح الحديث في شأن تحديد المراد بالحشر المذكور فيه، فمنهم من ذهب إلى أن المراد بذلك الحشر من القبور إلى الموقف، ومنهم من ذهب إلى أن هذا الحشر يكون قبل قيام الساعة لأن الحشر من القبور إلى الموقف على خلاف الصورة الواردة في هذا الحديث، وإنما هو على ما ورد في حديث ابن عباس وغيره أن الناس يحشرون حفاة عراة غرلاً، ومنهم من ذهب إلى أن الناس يخرجون من القبور حفاة عراة، فيساقون ويجمعون إلى الموقف والحساب، فحينئذ يحشر المتقون ركبانًا على الإبل، ومنهم من ذهب إلى أنهم يخرجون من القبور حفاة عراة، ثم بعد ذلك يفترق حالهم إلى الموقف على ما في حديث أبي هريرة هذا[٣].

٢. سوقهم سوق تكريم في جماعات:

يساق أهل الإيمان على مراكبهم، إلى دار الكرامة والرضوان تسوقهم

(١) عبد الله بن أحمد (١/ ١٥٥) مجمع الزوائد (١١١٦١) وابن جرير في جامع البيان (١٦/ ٩٦).

(٢) البخاري (٦٥٢٢)، مسلم (٧١٣١)، النسائي(٢٠٨٤).

(٣) انظر في تفصيل ذلك فتح الباري: (١١/ ٣٨٧).

الملائكة سوق اعـزاز وتشريف وتكريم بغرض الإسـراع بهم إلى دار الكرامة والرضوان في جـماعات، الأنبيـاء مع الأنبياء، والصديقـون مع الصديقين، والشهداء مع الشهـداء، وهكذا كل زمرة يناسب بعضها بعـضًا، قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ (١).

قال القرطبي: وقال في حق الفريقين: «وسيق» بلفظ واحد فسوق أهل النار طردهم إليـها بالخزي والهـوان، كمـا يفعل بالأسارى والخـارجين على السلطان، إذا سيـقوا إلى حبس أو قـتل، وسوق أهل الجنان سوق مراكـبهم إلى دار الكرامـة والرضوان، لأنه لا يذهب بـهم إلا راكبين كـما يفـعل بمن يشرف أو يكرم من الوافدين على بعض الملوك، فشتان ما بين السوقين. (٢)

وقال ابن قيم الجوزية: وتأمل مـا في سوق الفريقين إلى الدارين زمرًا: من فرحة هؤلاء بإخوانهم وسـيرهم معهم كل زمرة على حدة، كـمشتركين في عمل متصاحبين فيه على زمرتهم وجماعتهم، مستبشرين أقوياء القلوب، كمـا كانوا في الدنيـا وقت اجتمـاعهم على الخيـر، كذلك يؤنس بعـضهم بعضًا، ويفرح بعضهم ببعض.

وكذلك أصحاب الدار الأخرى: النار يساقون إليها زمرًا، يلعن بعضهم بعضًا، ويتأذى بعـضهم ببعض، وذلك أبلغ في الخزي والفضيـحة والهتيكة من أن يساقوا واحدًا واحدًا (٣).

---

(١) الزمر: (٧٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: (٨/ ٥٩٣١).

(٣) التفسير القيم: (صـ ٤٢٦).

٣. أحوالهم على الصراط:

يمر أهل الجنة على الصراط كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل، كل على قدر إيمانه وعمله.

والصراط: جسر يوضع على جهنم، قال عنه أبو سعيد الخدري: بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف [١].

هذا الجسر عليه خطاطيف، وكلاليب مأمورة بأخذ أهل النار، فتقذفهم في دركاتها.

يمر الناس كلهم على هذا الجسر بما فيهم أهل الجنة، وهم ينظرون إلى جهنم أسفلهم، سوداء مظلمة تتأجج نارها ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل: اللهم سلم سلم.

قال تعالى: ﴿ **وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا** ﴾ [٢].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري، أن رسول الله (ﷺ) قال: « ... **ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلم سلم** » قيل: يا رسول الله! وما الجسر؟ قال: «**دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب، تكون بنجد فيها شويكة يقال لها: السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل، والركاب، فناج مسلم ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم** ... »[٣].

(١) مسلم (٤٥٤).

(٢) مريم: (٧١ ، ٧٢).

(٣) البخاري: (٧٤٣٩) ، مسلم (٤٥٣).

وفي الصحيحين أيضًا من حديث أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال: « ... **ويضرب الجسر بين ظهري جهنم ، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان: هل رأيتم السعدان ؟** قالوا: نعم يا رسول الله! قال: « **فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبق بعمله، ومنهم المجازى، حتى يُنجَّى** ... »[1]

٤. إعطائهم نورًا يهتدون به إلى الجنة:

يعطي الله المؤمنين يوم القيامة نورًا كل على قدر عمله وإيمانه، يضيء لهم الصراط، ويهتدون به إلى الجنة، قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ **يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[3].

قال ابن مسعود: «يؤتون نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة، ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم، وأدناهم نورًا على إبهام يطفأ مرة ويقد مرة»[4].

---

(١) البخاري (٧٤٣٧) ، مسلم (٤٥٠) .

(٢) الحديد: (١٢) .

(٣) التحريم: (٨) .

(٤) رواه ابن جرير في جامع البيان: (٢٧/١٢٨) .

وقال الحسن: ﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ يعني على الصراط .

وقد جاء في الحديث أن الله يبعث يوم القيامة من الأعمال الصالحة ما تضيء لصاحبها الطريق إلى الجنة، فعن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: «**إن الله يبعث الأيام يوم القيامة على هيئتها، ويبعث الجمعة زهراء منيرة لأهلها، فيُحفُّون بها كالعروس تُهدَىٰ إلى كريمها، تضيء لهم، يمشون في ضوئها، ألوانهم كالثلج بياضًا، رياحهم تسطع كالمسك، يخوضون في جبال الكافور، ينظر إليهم الثقلان، ما يطرقون تعجبًا حتى يدخلوا الجنة، لا يخالطهم أحد إلا المؤذنون المحتسبون**»[1] .

ويخالط المنافقون حينئذ المؤمنين، فيمشون في نورهم يستضيئون به حتى إذا كانوا على الصراط أذهب الله عنهم ذلك النور قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ** ﴾[2] .

وفي الحديث عن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يسأل عن الورود فقال: «**نجيء نحن يوم القيامة عن كذا وكذا أنظر أي ذلك فوق الناس، قال: فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد، الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول: من تنظرون؟ فيقولون: ننظر ربنا، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم يضحك، قال: فينطلق بهم ويتّبعونه، ويعطي كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نورًا، ثم يتبعونه، وعلى جسر جهنم**

(١) رواه الحاكم: (١/٢٧٧)، صحيح الجامع: (١٨٧٢) .

(٢) الحديد: (١٣) .

كلاليب وحسكة، تأخذ من شاء الله، ثم يطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون، فتنجوا أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر، سبعون ألفًا لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم في السماء، ثم لذلك ...» [(١)].

قال النووي: قال العلماء: وإنما بقوا في زمرة المؤمنين، لأنهم كانوا في الدنيا متسترين بهم، فيتسترون بهم أيضًا في الآخرة، وسلكوا مسلكهم، ودخلوا في جملتهم، وتبعوهم ومشوا في نورهم، حتى ضرب بينهم بسور له باب، باطنه فيه الرحمة.وظاهره من قبله العذاب، وذهب عنهم نور المؤمنين[(٢)].

وقال القرطبي: قال المفسرون: يعطي الله المؤمنين نورًا يوم القيامة على قدر أعمالهم، يمشون على الصراط، ويعطي المنافقين أيضًا نورًا خديعة لهم دليله قوله تعالى: ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء:١٤٢]، وقيل: إنما يعطون النور؛ لأن جميعهم أهل دعوة دون الكافر، ثم يسلب نوره لنفاقه [(٣)].

ومتى سلب الله نور أهل النفاق، وأذهبه عنهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون، دعا أهل الإيمان ربهم قائلين: ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم:٨].

---

(١) رواه مسلم موقوفًا على جابر(٤٦٨) .

وقوله في الحديث : عن كذا وكذا ، قال الشراح فيه تغيير وصوابه: (نجيء يوم القيامة على كوم فوق الناس) .

(٢) المنهاج: (٣/ ٢١) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (٩/ ٦٦٤٧) .

قال الضحاك: ليس أحدٌ لا يعطى نورًا يوم القيامة، فإذا انتهوا إلى الصراط، طفئ نور المنافقين، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم كما طفئ نور المنافقين، فقالوا: ﴿**ربنا أتمم لنا نورنا**﴾[1] .

وينادي المنافقون على أهل الإيمان بعد أن هبت عليهم رياح النفاق فأذهبت ما معهم من نور: ﴿**انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ**﴾ فيقال لهم: ﴿**ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا**﴾ أي ارجعوا وراءكم من حيث جئتم، فاطلبوا النور هنالك .

فلما فعلوا ذلك عزلهم الله عن أهل الإيمان وفصل بينهم قال تعالى: ﴿**فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ**﴾ ، أي في باطن هذا السور الجنة حيث انتهى المؤمنون، وفي ظاهره النار حيث انتهى المنافقون .

وهذا خداع من الله لأهل النفاق، كما كانوا يخادعون أهل الإيمان في الدنيا، ويوهمونهم أنهم منهم ويحسبون أنهم يخادعون الله لجهلهم وقلة علمهم، فيخدعهم الله بأن يحشرهم في زمرة المؤمنين يوم القيامة، حتى إذا ظنوا أنهم نجوا من عذاب الله أذهب الله عنهم نورهم وفصلهم عن المؤمنين وأرداهم في جهنم.

والسور: حاجز بين أهل الجنة وأهل النار، ومن أهل العلم من قال: إن هذا السور هو الذي قال الله فيه: ﴿**وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ**﴾ [الأعراف: ٤٧].

قال ابن زيد في قوله: ﴿**فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ**﴾ [الحديد: ١٣]، قال: هذا السور هو الذي قال الله فيه: ﴿**وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ**﴾[2].

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره: (٤/ ٣٠٩). (٢) ابن جرير في جامع البيان: (٢٧/ ١٢٩).

وينادي المنافقون على أهل الإيمان بعد أن فصل بينهم: ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ [الحديد: ١٤]، أي في الدنيا، نقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله كما تقولون، ونصلي كما تصلون، وننفق كما تنفقون، ونجاهد كما تجاهدون، ونعمل بعمل الإسلام كما تعملون.

فيجيبهم المؤمنون: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۞ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٤، ١٥].

أي: بلى! كنتم معنا في الظاهر، لكنكم لم تخلصوا أعمالكم لله، ونافقتم فيها، وتربصتم بأهل الإيمان الدوائر، وشككتم في كل ما أخبر به رسول الله (ﷺ)، وغرتكم الأماني الباطلة، والشيطان حتى أتاكم الموت، فلن يقبل اليوم منكم فدية ولا من الذين كفروا، ولو افتديتم بملء الأرض ذهبًا، فالنار مأواكم ومستقركم ولا محيص لكم عنها.

٥- حبسهم على قنطرة بين الجنة والنار:

إذا خلص المؤمنون من الصراط المنصوب على جهنم حبسوا قبل دخولهم الجنة على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص من بعضهم لبعض مظالم كانت بينهم في الدنيا.

روى البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ﷺ): «**يخلص المؤمنون من النار ويحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا، أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده! لأحدهم أهدى بمنزله في**

الجنة منه بمنزله كان في الدنيا» [١].

واعلم أن القصاص من بعضهم لبعض في هذا الموقف لا يستنفد حسناتهم، ولا يعيد أحدًا منهم إلى النار مرة أخرى، إذ لا يجتاز الصراط المنصوب على جهنم إلا من كان من أهل الجنة، والله سبحانه وتعالى يريد أن ينقيهم، ويطهرهم من أية مظلمة كانت بينهم في دار الدنيا، فحقوق الله قد غفرها وتجاوز عنها، أما حقوق العباد فيقتص من بعضهم لبعض فيها حتى إذا هذبوا ونقوا منها أذن الله لهم في دخول الجنة، فيدخلونها وقد زال ما كان بينهم من غل وحقد في دار الدنيا .

قال القرطبي في التذكرة: فإذا خلص من خلص من هذا الصراط الأكبر الذي ذكرناه، ولا يخلص منه إلا المؤمنون، الذين علم الله منهم أن القصاص لا يستنفد حسناتهم، حبسوا على آخر خاص لهم، ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد إن شاء الله لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم الذي يسقط فيها من أوبقه ذنبه ، وأربى على الحسنات بالقصاص جرمه [٢].

٦- دخولهم الجنة:

إذا هذب أهل الجنة ونقوا، وتطهروا من حقوق العباد ومظالمهم، على القنطرة التي بين الجنة والنار، ساروا في أحسن صورة وأجمل هيئة يشع من وجوههم النور، وتزفهم الملائكة في موكب لم يشهد له مثيل، حتى يأتوا

---

(١) البخاري: (٦٥٣٥) ، أحمد (٣/١٣) .

(٢) التذكرة: (٢/ ٣٧)

الجنة وقد فتحت لهم أبوابها، والملائكة تحييهم على ما فازوا به من النعيم المقيم، قال تعالى: ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**﴾ (١).

فيقول المؤمنون إذا عاينوا الجنة وما فيها من النعيم المقيم، والعطاء الوفير: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾ (٢).

والمراد بقولهم: ﴿**أَوْرَثَنَا الْأَرْضَ**﴾ أي: أرض الجنة .

وقد جاء في الحديث أن أول من يفتح له باب الجنة هو محمد (ﷺ)، فقد روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ): «**آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك**» (٣).

قال العلامة ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ: وتأمل قول خزنة الجنة لأهلها: ﴿**ادْخُلُوهَا**﴾ وقول خزنة النار لأهلها: ﴿**ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ**﴾، تجد تحته سرًا لطيفًا ومعنى بديعًا، لا يخفى على المتأمل، وهو أنه لما كانت النار دار العقوبة، وأبوابها أفظع شيء وأشده حرًا، وأعظمه غمًا، يستقبل الداخل فيها من العذاب، ما هو أشد منها، ويدنو من الغم والخزي والحزن والكرب بدخول الأبواب، فقيل: ﴿**ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ**﴾ صغارًا لهم

---

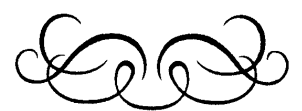
(١) الزمر: (٧٣) .

(٢) الزمر: (٧٤) .

(٣) مسلم: (٤٨٥) .

وإذلالاً وخزيًا، ثم قيل لهم: لا يقتصر بكم العذاب على مجرد دخول الأبواب الفظيعة، ولكن وراءها الخلود في النار .

وأما الجنة فهي دار الكرامة، والمنزل الذي أعده الله لأوليائه، فبشروا من أول وهلة بالدخول إلى الأرائك والمنازل والخلود فيها [1].



(١) التفسير القيم لابن قيم الجوزية: صـ ٤٢٧ .

صفة النار وأحوال أهل الشيطان فيها

النار موجودة الآن:

مذهب أهل الحق أن النار موجودة الآن خلافًا للمبتدعة، الذين يزعمون أن الله لم يخلقها بعد، وأنه ينشؤها يوم القيامة .

والأدلة قد تواترت على أن النار موجودة ومخلوقة الآن:

قال تعالى: ﴿ **فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾[٢].

وقوله: ﴿ **أُعِدَّت** ﴾، بلفظ الماضي دليل على أنها موجودة، فالمعدوم لا يكون معدًا .

وقوله تعالى: في حق آل فرعون: ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾ [٣].

فهذه الآية من أدل الأدلة على أن النار موجودة مخلوقة الآن بدليل أنهم يعرضون عليها قبل قيام الساعة .

والجمهور من العلماء: إن آل فرعون يعرضون على النار في الغداة والعشي .

---

(١) البقرة: (٢٤) .

(٢) آل عمران: (١٣١) .

(٣) غافر: (٤٦) .

وفي الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): «**اشتكت النار إلى ربها فقالت: يارب! أكل بعضي بعضًا، فأذن لها بنَفَسَيْن: نَفَسٌ في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير**» [١].

وروى مسلم من حديث أبي هريرة قال: كنا مع رسول الله (ﷺ): إذ سمع وجبة، فقال النبي (ﷺ): «**تدرون ما هذا ؟**» قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: **هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفًا، فهو يهوي في النار الآن حين انتهى إلى قعرها**» [٢].

وفي حديث صلاة الكسوف عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله (ﷺ) قال: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله**» فقالوا: يا رسول الله! رأيناك تناولت شيئًا في مقامك هذا، ثم رأيناك كففت، **فقال:** «**إني رأيت الجنة، فتناولت منها عنقودًا، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار، فلم أر كاليوم منظرًا قط، ورأيت أكثر أهلها النساء» قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: «بكفرهن»**. قيل: أيكفرن بالله؟ قال: «**بكفر العشير، وبكفر الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئًا قالت: ما رأيت خيرًا قط**»[٣].

نقل الإمام النووي عن القاضي عياض قوله: قال العلماء تحتمل أنه

---

(١) البخاري: (٣٢٦٠)، مسلم: (١٤٠٠)، الترمذي: (٢٥٩٢)، ابن ماجة: (٤٣١٩).

(٢) مسلم: (٧٠٩٦).

(٣) البخاري: (١٥٠٢)، مسلم: (٢١٠٦).

رآهما رؤية عين، كشف الله تعالى عنهما، وأزال الحجب بينه وبينهما، كما فرج له عن المسجد الأقصى حين وصفه، ويكون قوله (ﷺ) في عرض هذا الحائط، أي في جهته وناحيته، أو في التمثيل لقرب المشاهدة، قالوا: ويحتمل أن يكون رؤية علم، وعرض وحيٍ باطلاعه، وتعريفه من أمورها تفصيلاً مالم يعرفه قبل ذلك، ومن عظيم شأنهما ما زاده علمًا بأمرهما وخشية وتحذيرًا ودوام ذكر، ولهذا قال (ﷺ): «**لو علمتم ما أعلم لبكيتم كثيرًا ولضحكتم قليلاً**»، قال القاضي: والتأويل الأول أولى وأشبه بألفاظ الحديث، لما فيه من الأمور الدالة على رؤية العين، كتناوله (ﷺ) العنقود، وتأخره مخافة أن يصيبه لفح النار [(١)].

وقال الحافظ ابن حجر:

وأبعد من قال أن المراد بالرؤية، رؤية العلم، قال القرطبي: لا إحالة في إبقاء هذه الأمور على ظواهرها لاسيما على مذهب أهل السنة في أن الجنة والنار قد خلقتا ووجدتا، فيرجع إلى أن الله تعالى خلق لنبيه (ﷺ) إدراكًا خاصًا به أدرك به الجنة والنار على حقيقتهما[(٢)].

فهذه بعض الشواهد على كون النار موجودة، وسيأتي لذلك مزيد من الأدلة عند الحديث عن وجود الجنة .

أبوابها ودركاتها:

جعل الله لجهنم سبعة أبواب لكل باب منها جزء معلوم من أتباع الشيطان، يدخلون النار فيه لكونهم جميعًا ليسوا متساوين في المعاصي

(١) مسلم: (بشرح النووي): (٦/٤٤٦) .

(٢) فتح الباري: (٢/٦٢٩) .

فمراتب الكفر عندهم مختلفة ولهذا اختلفت منازلهم في النار .

ولقد أسلفنا أن أتباع الشيطان يساقون إلى جهنم في جماعات، هذه الجماعات مقسمة بحسب أعمالها وشرورها، فأهل كل كبيرة في جماعة، حتى إذا اجتمعوا على شفير جهنم، قذفت زبانية العذاب أهل كل كبيرة من الباب المخصص لهم، قال تعالى متوعدًا أتباع الشيطان: ﴿ **وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ** ﴾ [١].

وفي الحديث عن ابن عمر أن النبي (ﷺ) قال: «**لجهنم سبعة أبواب: باب منها لمن سل السيف على أمتي، أو قال: على أمة محمد**»[٢] ،وقيل المراد بالأبواب الأطباق ، طبق فوق طبق .

قال الرازي: في قوله تعالى: ﴿**لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ**﴾ قولين:

القول الأول: أنها سبع طبقات بعضها فوق بعض، وتسمى تلك الطبقات بالدركات، ويدل على كونها كذلك قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**﴾ .

القول الآخر: إن قرار جهنم مقسوم سبعة أقسام، ولكل قسم باب [٣].

وعن علي (رضي الله عنه) قال: هل تدرون كيف أبواب النار؟ قالوا: كنحو هذه الأبواب، قال: لا، ولكن هكذا ووصف بعضها فوق بعض [٤].

---

(١) الحجر: (٤٣ ، ٤٤) .

(٢) الترمذي: (٣١٢٣) ، أحمد: (٢/ ٩٤) ، (ضعيف الجامع): (٤٦٦١) .

(٣) (مفاتيح الغيب): (٩/ ٤٢٩) .

(٤) ابن جرير: في (جامع البيان)، (١٤/ ٢٤) .

وعن عكرمة في قوله تعالى: ﴿**لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ**﴾، قال لها سبعة أطباق.[١]

وعن ابن جريج في قوله تعالى: ﴿**لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ**﴾، قال:

أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية، والجحيم فيها أبو جهل[٢].

قال القرطبي: والذي عليه الأكثر من العلماء أن جهنم أعلى الدركات، وهي مختصة بالعصاة من أمة محمد (ﷺ) وهي التي تخلى من أهلها، فتصفق الرياح أبوابها، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم سعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية.

وذكر عن الضحاك قوله: في الدرك الأعلى المحمديون، وفي الثاني النصارى، وفي الثالث اليهود، وفي الرابع الصابئون، وفي الخامس المجوس، وفي السادس مشركو العرب، وفي السابع المنافقون وآل فرعون ومن كفر من أهل المائدة[٣].

خزنة النار:

بين الله عدَّة خزنة النار وجنسهم في قوله تعالى: ﴿**عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ * وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾[٤].

أي: على جهنم تسعة عشر من الملائكة، وكونهم من الملائكة وهم

(١، ٢) ابن جرير: في (جامع البيان) (١٤/ ٢٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (٥/ ٣٧٥٣).

(٤) المدثر: (٣٠، ٣١).

جنس مخالف لجنس الإنس والجن الذين هم أهل النار، حتى لا تأخذهم بهم رأفة ولا رقة ولا رحمة، إذا هم استرحموهم، ولأنهم أعظم خلقة وأشد قوة وبطشًا، طائعين لله لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

ولقد وصف الله غلظتهم وقوتهم وبطشهم وطاعتهم لله في قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾** [1].

وفي الحديث روى الترمذي عن جابر بن عبد الله أنه قال: قال ناس من اليهود لأناس من أصحاب النبي (ﷺ): هل يعلم نبيكم كم عدد خزنة جهنم؟ قالوا: لا ندري حتى نسأله، فجاء رجل إلى النبي (ﷺ) فقال: يا محمد! غلب أصحابك اليوم، قال: **«وبم غلبوا؟»** قال: سألهم يهود هل يعلم نبيكم كم عدد خزنة جهنم؟ قال: **«فما قالوا؟»** قال: قالوا: لا ندري حتى نسأل نبينا، قال: **«أيغلب قوم سئلوا عما لا يعلمون فقالوا: لا نعلم حتى نسأل نبينا؟ لكنهم قد سألوا نبيهم فقالوا: أرنا الله جهرة، عليَّ بأعداء الله إني سائلهم عن تربة الجنة وهي الدرمك»**، فلما جاءوا قالوا: يا أبا القاسم! كم عدد خزنة النار؟ قال: هكذا، وهكذا، في مرة عشرة وفي مرة تسعة، قالوا: نعم، قال لهم النبي (ﷺ): **«وما تربة الجنة؟»** قال: فسكتوا هنيهة ثم قالوا: أخبزة يا أبا القاسم؟ فقال النبي (ﷺ): **«الخبز من الدرمك»** [2].

---

(١) التحريم: (٦) .

(٢) الترمذي: (٣٣٢٧)، (ضعيف الجامع): (٢١٨٦) .

شدة حر جهنم:

بين الله عزوجل في مواضع كثيرة من آيات الذكر الحكيم، شدة حر جهنم وشدة عذابها .

قال تعالى: ﴿ كَلاَّ إِنَّهَا لَظَىٰ * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ * انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ * لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ * إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿ كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ (٥).

فهذه بعض الشواهد القرآنية على شدة حر جهنم وشدة عذاب أهلها .

وأما الأحاديث النبوية فهي كثيرة:

---

(١) المعارج: (١٥ ، ١٦) .

(٢) المدثر: (٢٦ ـ ٢٩) .

(٣) المرسلات: (٢٩ ـ ٣٣) .

(٤) القارعة: (٨ ـ ١١) .

(٥) الهمزة: (٤ ـ ٩).

فعن أبي هريرة أن النبي (ﷺ) قال: «**ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءًا من حر جهنم**» قالوا: والله! إن كانت لكافية يا رسول الله قال: «**فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا كلها مثل حرها**»(١) .

وروى الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: «**أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة** »(٢) .

وقال (ﷺ) : «**اشتكت النار إلى ربها، فقالت: يا رب! أكل بعضي بعضًا، فجعل لها نفسين: نفسًا في الشتاء، ونفسًا في الصيف، فشدة ما تجدون من البرد من زمهريرها، وشدة ما تجدون من الحر من سمومها**»(٣) .

قال القرطبي في التذكرة: قوله ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم يعني أنه لو جمع كل ما في الوجود من النار التي يوقدها ابن آدم لكانت جزءًا من أجزاء جهنم المذكورة، بيانه: أنه لو جمع حطب الدنيا فأوقد كله حتى صار نارًا، لكان الجزء الواحد من أجزاء نار جهنم، الذي هو من سبعين جزءًا من حر نار الدنيا (٤) .

سعة جهنم وشدة عمقها:

هنالك الكثير من الأدلة التي تبين لنا عظم سعة جهنم وشدة غورها،

---

(١) البخاري: (٣٢٦٥) ، مسلم: (٧٠٩٤) ، الترمذي: (٢٥٨٩) .

(٢) الترمذي: (٢٥٩١) ، ابن ماجة: (٤٣٢٠) ، (ضعيف الجامع): (٢١٢٥) .

(٣) البخاري: (٣٢٦٠) ، مسلم: (١٤٠٠) ، الترمذي: (١٥٩٢) ، ابن ماجة: (٤٣١٩) عن أبي هريرة .

(٤) التذكرة: (١٠٦/٢) .

منها ما ورد في الكتاب، ومنها ما ورد في السنة.

قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيد** ﴾ [(١)].

وإنما يقال لها ذلك بعدما يلقي الله فيها الأولين والآخرين ممن عصوه من بني آدم، وكذلك من الجن وهم خلق كثير، ولا يبقى أحد عصى الله واستحق العذاب إلا ودخلها، ومع ذلك لا تمتلئ جهنم بهم، وإنما يبقى بها فضل فتقول لربها: ﴿ **هَلْ مِن مَّزِيد** ﴾ أي: هل هناك من تزيدوني به من العصاة والطغاة؟

وفي الحديث عن أنس بن مالك أن النبي (ﷺ) قال: «**لا تزال جهنم تقول: ﴿ هَلْ مِن مَّزِيد ﴾ حتى يضع فيها رب العزة تبارك وتعالى قدمه، فتقول: قط قط**[(٢)] **، وعزتك، ويُنْزَوى بعضها إلى بعض**»[(٣)].

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله (ﷺ) قال: **افتخرت الجنة والنار، فقالت النار: يارب! يدخلني الجبابرة والمتكبرون والملوك والأشراف، وقالت الجنة: يدخلني الضعفاء والفقراء والمساكين، فيقول الله تبارك وتعالى للنار: أنت عذابي أصيب بك من أشاء، وقال للجنة: أنت رحمتي وسعت كل شيء، ولكل واحدة منكما ملؤها، فيلقى في النار أهلها، فتقول: هل من مزيد؟ قال: ويلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يأتيها الله ـ تبارك وتعالى ـ فيضع قدمه عليها فتزوى فتقول: قدْني قدني**[(٤)]، وأما الجنة فيبقى فيها ما

---

(١) ق: (٣٠).

(٢) **قط**: حسبي أي يكفيني.

(٣) البخاري: (٦٦٦١)، مسلم: (٦٠٧١)، الترمذي: (٣٢٧٢).

(٤) قدني: يكفيني.

شاء الله أن يبقىٰ فينشيء الله لها خلقًا ما يشاء [١].

وعن أبي هريرة قال: قال النبي (ﷺ): «**تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم، قال الله تبارك وتعالىٰ للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ، حتىٰ يضع رجله فتقول: قط، قط، قط، فهنالك تمتلئ، ويزوي بعضها إلىٰ بعض، ولا يظلم الله عزوجل أحدًا، وأما الجنة فإن الله عزوجل ينشئ لها خلقًا**» [٢].

فهذا شأن النار يجمع الله فيها كل العصاة من الجن والإنس ومع ذلك تقول: ﴿**هَلْ مِن مَّزِيدٍ**﴾ رغم عظم أجساد أهلها ورغم كونهم أكثر الخلق كما قال تعالىٰ: ﴿**وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾. وقال تعالىٰ: ﴿**وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾.

ومما جاء في شدة غور جهنم وبعد قعرها ما رواه مسلم عن أبي هريرة قال: كنا مع رسول الله (ﷺ) إذ سمع وجبة، فقال النبي (ﷺ): «**تدرون ما هذا**؟ قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، **قال: هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفًا، فهو يهوي في النار الآن، حين انتهى إلىٰ قعرها**» [٣].

وروىٰ الترمذي عن عتبة بن غزوان عن النبي (ﷺ) قال: «**إن الصخرة**

---

(١) أحمد (٣/١٣)، (مجمع الزوائد): (١١٣٦٢)، وصححه الألباني في السنة لابن أبي عاصم (٥٢٨).

(٢) البخاري (٤٨٥٠)، مسلم (٧١٠٤).

(٣) مسلم (٧٠٩٦).

العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتهوى فيها سبعين عامًا ما تفضي إلى قرارها»[١].

فتأمل وتدبر قدر هذا العمق الذي لا تفضي إليه الصخرة العظيمة الملقاة من شفير جهنم في سبعين عامًا .

وقود النار:

قال تعالى يصف وقود جهنم: ﴿ **فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾ [٢].

وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** ﴾ [٣].

وقال تعالى: ﴿ **وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا** ﴾ [٤].

وقال تعالى يخاطب أهل الكفر: ﴿ **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ** ﴾ [٥].

وعن عبد الله بن مسعود في قول الله تعالى: ﴿ **وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** ﴾ قال: هي حجارة من الكبريت خلقها الله يوم خلق السموات والأرض في السماء الدنيا يعدها للكافرين [٦].

---

(١) الترمذي: (٢٥٧٥)، (صحيح الجامع): (١٦٦٢) .

(٢) البقرة: (٢٤) .

(٣) التحريم: (٦) .

(٤) الجن: (١٥) .

(٥) الأنبياء: (٩٨) .

(٦) ابن جرير في (جامع البيان): (١/ ١٣١) .

وعن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (ﷺ) قالوا في قول الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ أما الحجارة فهي حجارة في النار من كبريت أسود يعذبون به مع النار [١].

وقيل: المراد بها حجارة الأصنام والأنداد التي كانت تعبد من دون الله استدلالاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ .

قال الرازي: السؤال العاشر: لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقودًا؟

الجواب: لأنهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا حيث نحتوا أصنامًا وجعلوها لله أندادًا وعبدوها من دونه، قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ .

وهذه الآية مفسرة لها فقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ في معنى الناس والحجارة، وحصب جهنم في معنى وقودها، ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله أنها الشفعاء والشهداء الذين يتشفعون بهم ويستدفعون المضار عن أنفسهم تمسكًا بهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها.

محماة في نار جهنم إبلاغًا وإغرابًا في تحسرهم ونحوه ما يفعله بالكافرين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم

---

(١) ابن جرير في: (جامع البيان): (١/ ١٣١) .

وظهورهم، وقيل: هي حجارة الكبريت، وهو تخصيص بغير دليل، بل فيها ما يدل على فساده؛ وذلك لأن الغرض ههنا تعظيم صفة هذه النار، والإيقاد بحجارة الكبريت أمر معتاد، فلا يدل الإيقاد بها على قوة النار، أما لو حملناه على سائر الأحجار، دل ذلك على عظم أمر النار، فإن سائر الأحجار تطفأ بها النيران، فكأنه قال: تلك النيران بلغت لقوتها أن تتعلق في أول أمرها بالحجارة التي مطفئة لنيران الدنيا [١].

وقد استنكر الحافظ ابن كثير على الرازي استبعاده لحجارة الكبريت فقال: وهذا الذي قاله ليس بالقوي، وذلك أن النار إذا أضرمت بحجارة الكبريت، كان ذلك أشد لحرها وأقوى لسعيرها، لاسيما على ما ذكره السلف من أنها حجارة من كبريت معدة لذلك، ثم إن أخذ النار بهذه الحجارة أيضًا مشاهد، وهذا الجص يكون أحجارًا فيعمل فيه بالنار حتى يصير كذلك، وكذلك سائر الأحجار تُفَخِّرُها النار وتحرقها ، وإنما سبق هذا في حر هذه النار التي وعدوا بها وشدة ضرامها، وقوة لهبها، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً﴾.

وهكذا رجح القرطبي أن المراد بها الحجارة التي تسعر بها النار لتحمر ويشتد لهبها، قال: ليكون ذلك أشد عذابًا لأهلها [٢].

وقوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ لا ينفي وجود الشياطين والجن معهم في النار، وأنهم أيضًا وقود لها.

---

(١) (مفاتيح الغيب): (١/ ٥٢٠) .

(٢) (التفسير): (١/ ٦٢) .

فقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ يدل على أن عصاة الجن في النار وقود لها، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ يدخل فيه الشياطين والجن، فإنهم ممن عبدوا من دون الله.

سلاسلها وأغلالها ومقامعها:

السلاسل: القيود، جمع سلسلة، وهي حلقة منتظمة، كل حلقة منها في حلقة.

والأغلال: جمع غُلّ، وهو طوق تغل به الأيدي إلى العنق.

والمقامع: جمع مقمع، وهو السياط، وقيل المطرقة.

زيادة في شدة عذاب أهل النار، ومبالغة في الانتقام منهم، فإن الله تعالى جعل لهم فيها سلاسل يقيدون بها وأغلالاً تغل بها أعناقهم، ومقامع تضرب بها أجسادهم، وتسحبهم زبانية العذاب في النار وهم على هذه الحالة مسلسلين ومغللين ليكون ذلك أبلغ في تعذيبهم وإهانتهم.

قال تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ (٣).

---

(١) غافر: (٧١، ٧٢).

(٢) الإنسان: (٤).

(٣) الحاقة: (٣٠ ـ ٣٢).

وقال تعالى: ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ﴾ [(١)].

وقال تعالى: ﴿ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ [(٢)].

ومما يدل على عظم هذه الأشياء من السلاسل والمقامع والأغلال ما جاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله (ﷺ): «**لو أن رصاصة مثل هذه، وأشار إلى مثل الجمجمة، أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة، لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة، لسارت أربعين خريفًا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها**»[(٣)].

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي (ﷺ) قال: «**لو أن مقمعًا من حديد وضع في الأرض فاجتمع له الثقلان ما أقلوه من الأرض**»[(٤)].

حشرات النار:

روى أحمد والطبراني عن عبد الله بن الحارث بن جَزء الزُّبيدي: قال: قال رسول الله (ﷺ): «**إن في النار حيات كأمثال أعناق البُخْت تلسع إحداهن اللسعة فيجد حَمُوَّهَا سبعين خريفًا، وإن في النار عقارب كأمثال العقارب الموكَفَة، تلسع إحداهن اللسعة فيجد حَمُوَّهَا أربعين سنة**»[(٥)]

---

(١) إبراهيم: ٤٩ . (٢) الحج: ٢١ . (٣) الترمذي: (٢٥٨٨) - أحمد: (٢/ ١٩٧)، الحاكم: (٢/ ٤٣٨)، (ضعيف الجامع): (٤٨٠٥) .

(٤) أحمد: (٣/ ٢٩)، أبو يعلى: (١٣٨٨)، (مجمع الزوائد): (١٨٥٨٣)، الحاكم: (٤/ ٦٠٠)، (ضعيف الجامع): (٤٨٠٩) .

(٥) أحمد: (٤/ ١٩١)، (مجمع الزوائد): (١٨٥٩٣)، ابن حبان: (٧٤٧١)، الحاكم: (٤/ ٥٩٣)، البيهقي: في (البعث والنشور) (٦١٦)، ضعفه شعيب الأرنؤوط في المسند .

وفي أحمد البغال بدل العقارب .

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ): «**عمر الذباب أربعون ليلة، والذباب كله في النار إلا النحل**»[1] .

وعن ابن عباس عن النبي (ﷺ) قال: «**الذباب كله في النار إلا النحل**»[2].

وعن عبد الله بن مسعود في قول الله تعالى: ﴿**زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ**﴾ قال: زيدوا عقارب أنيابها كالنخل الطوال [3].

طعام أهل النار:

إن الله تعالى جعل طعام أهل النار وشرابهم ولباسهم من جنس النار ذاتها، ليكون ذلك أبلغ في تعذيبهم، وانتقامًا منهم بسبب كفرهم، فالنار تحرق أجسادهم من الخارج والطعام والشراب يشويها من الداخل .

ومن طعام أهل النار:

١- الزقوم:

وهو شجر ينبت في نار جهنم، جعله الله طعامًا لأهلها، سيء الطعم، كريه الرائحة قبيح المنظر، ولذا شبهه الله برءوس الشياطين، وهي مثل للقبح الشديد وسوء الخلقة، كما أن الملائكة مثل للحسن والجمال.

---

(١) أبو يعلى: (٤٢٣١)، (مجمع الزوائد) (١٣٣٨٧) حسنه حسين سليم أسد في مسند أبي يعلى.

(٢) الطبراني: في (الكبير) (١١٠٥٨) (مجمع الزوائد): (١٨٥٩٥) (صحيح الجامع): (٣٤٤٢).

(٣) الطبراني: في (الكبير) (٩١٠٠٣) ، (مجمع الزوائد): (١٨٦٠٠)، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

ولقد ذكر الله هذه الشجرة في غير موضع في كتابه، ووصفها بأوصاف تدل جميعها على شدة قبحها وسوء منظرها ، قال تعالى في سورة الصافات بعد أن ذكر الجنة ونعيمها : ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴾ [1].

وقال في سورة الدخان: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴾ [2].

وقال في سورة الواقعة: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ * فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ * هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [3].

وهي الشجرة الملعونة في القرآن التي قال الله عنها: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾[4].

وفي الحديث: قال رسول الله (ﷺ): «**لو أن قطرة من الزقوم قُطِرَت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن يكون طعامه**» [5].

---

(١) الصافات: (٦٢ ـ ٦٨) . (٢) الدخان: (٤٣ ـ ٤٦) .

(٣) الواقعة: (٥١ ـ ٥٦) . (٤) الإسراء: (٦٠).

(٥) الترمذي: (٢٥٨٥)، ابن ماجة: (٤٣٢٥)، أحمد: (١/ ٣٠١)، الحاكم: (٢/ ٤٥١)، البيهقي: في (البعث والنشور)(٥٩٦)، ابن حبان: (٧٤٧٠) عن ابن عباس (صحيح الجامع) (٥٢٥٠) .

٢. الغسلين:

هو طعـام من طعام أهـل النار، قيل فـيه: أنـه شر طعـام أهل النار، وقيل: شجرة في جهنم، وقـيل: صديد أهل النار، وقيل: الدم والماء يسيل من لحومهم.

وقد ذكره الله في كتابه فقال تعالى: ﴿ **فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ * لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ** ﴾ [١].

والمراد بالحمـيم في الآية: القريب والشـفيع: أي ليس له يوم القيـامة قريب ولا شفيع ينقذه من عذاب الله.

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي (ﷺ) قال: «**لو أن دلواً من غـسلين يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا**» [٢].

قال صـديق خان في فتـح البيان: والتـوفيق بين ما هنـا ـ يعني قوله: ﴿**وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ**﴾ ـ وقوله في محل آخر: ﴿ **إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ** ﴾ وفي موضع آخر: ﴿**إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الأَثِيمِ**﴾ وفي موضع آخر: ﴿**مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ**﴾ أنه يجوز أن يكون طعامـهم جميع ذلك، وأن العـذاب أنواع، والمعـذبين طبـقـات، فـمنهم أكلة الغـسلـين، ومنهم أكلة الضـريع، ومـنهم أكلة الزقـوم، ومنـهم أكلة النار، لكل باب مـنهم جـزء مقسوم [٣].

---

(١) الحاقة: (٣٥ ـ ٣٧).

(٢) الترمذي: (٢٥٨٤)، الحاكم: (٦٠٢/٤)، (ضعيف الجامع): (٤٨٠٣).

(٣) فتح البيان: (٣٠١/١٤).

٣. الضريع:

الضريع نوع من أنواع طعام أهل النار، قال الله فيه: ﴿ **لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ * لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِن جُوعٍ** ﴾ [(١)].

وفي الحديث عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله (ﷺ): «**يلقى على أهل النار الجوع، فيعدل ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع، لا يسمن ولا يغني من جوع، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة، فيتذكرون أنهم كانوا يجيزون الغُصص في الدنيا بالشراب، فيستغيثون بالشراب، فيدفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم، فإذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم** ...» [(٢)]. الحديث.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى الضريع، فقيل: شجر من نار، وقيل: الحجارة، وقيل الشبرق.

قال البخاري: قال مجاهد: الضريع نبت يقال له الشبرق، يسميه أهل الحجاز الضريع إذا يبس وهو سم [(٣)].

قال المباركفوري: وهو نبات بالحجاز له شوك لا تقربه دابة لخبثه ولو أكلت منه ماتت، والمراد هنا شوك من نار أمر من الصبر وأنتن من الجيفة وأحر من النار [(٤)].

---

(١) الغاشية: (٦، ٧).

(٢) الترمذي: (٢٥٨٦)، (ضعيف الجامع) (٦٤٤٤).

(٣) البخاري: (التفسير).

(٤) تحفة الأحوزي: (٧/ ٣٠٤).

قال القرطبي: قال عكرمة ومجاهد: الضريع ذو شوك لاصق بالأرض، تسميه قريش الشبرق إذا كان رطبًا، فإذا يبس فهو الضريع، لا تقربه دابة ولا بهيمة ولا ترعاه، وهو سم قاتل، وهو أخبث الطعام وأشنعه، على هذا عامة المفسرين [1].

وقال القرطبي أيضًا: وقد قال الله تعالى في موضع آخر: ﴿ **فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ** ﴾ وقال هنا: ﴿ **إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ** ﴾ وهو غير الغسلين، ووجه الجمع أن النار دركات، فمنهم من طعامه الزقوم، ومنهم من طعامه الغسلين، ومنهم من طعامه الضريع، ومنهم من شرابه الحميم، ومنهم من شرابه الصديد [2].

هذا الطعام مهما أكل منه من في النار فإنه لا يسمن ولا يغني من جوع، وإنما يبقى أهل النار فيما هم فيه من الجوع، ولا ينالهم سوى العذاب والألم.

شراب أهل النار:

١- الحميم:

الحميم هو: الماء الحار الذي اشتدت حرارته لدرجة أنها تُقطع أمعاء أهل الكفر، وتصهر مافي بطونهم، وجلودهم، قال تعالى عنه في كتابه: ﴿ **هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ** ﴾ [3].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: (١٠/٧٣٦٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: (١٠/٧٠٣٦٧).

(٣) الحج: (١٩، ٢٠).

وقال تعالى في سورة محمد يصف شراب أهل الكفر: ﴿ **وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ** ﴾ [١].

وروى الترمذي عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: «**إن الحميم ليصب على رءوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر، ثم يعاد كما كان**» [٢].

ويخلط لهم هذا الشراب بغيره من طعام وشراب أهل النار، فيمزج بالغساق، والصديد، والزقوم، وذلك تغليظًا لعذابهم وشدة إيلامهم، قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ** ﴾ [٣].

٢ـ الغساق:

الغساق: قيل: صديد أهل النار، وقيل: الزمهرير، وقيل: غسالة أهل النار، وقيل: المنتن، وقيل: غير ذلك.

قال الله تعالى: ﴿ **هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ** ﴾ [٤].

وقال تعالى: ﴿ **لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا * إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا** ﴾ [٥].

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري عن النبي (ﷺ) قال: «**لو أن دلوًا من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا**» [٦].

---

(١) محمد: (١٥).

(٢) أحمد: (٢/ ٣٧٤)، الترمذي: (٢٥٨٢)، الحاكم: (٢/ ٣٨٧)، (ضعيف الجامع): (١٤٣٣).

(٣) الصافات: (٦٧). (٤) ص: (٥٧). (٥) النبأ: (٢٤ ، ٢٥).

(٦) الترمذي: (٢٥٨٤)، الحاكم: (٤/ ٦٠٢)، (ضعيف الجامع): (٤٨٠٣).

وقال قتادة: كنا نتحدث أن الغساق ما يسيل من بين جلده ولحمه .

وقال ابن زيد: الغساق: الصديد الذي يجمع من جلودهم، مما تصهرهم النار في حياض تجمع فيها فيسقونه .

وقال مجاهد: برد لا يستطاع .

وقال ابن عباس: الزمهرير .

قال ابن جرير: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو ما يسيل من صديدهم؛ لأن ذلك هو الأغلب من معنى الغسوق، وإن كان للآخر وجه صحيح [1].

قال صديق خان: وتفسير الغساق بالبارد أنسب بما تقتضيه لغة العرب، وأنسب أيضًا بمقابلة الحميم [2].

قلت: ولا خلاف بين كون الغساق صديد أهل النار وغسالتهم، وبين كونه الزمهرير، ذلك أن صديد أهل النار كما يكون حارًا شديد الحرارة، يكون أيضًا باردًا شديد البرودة، فيتناوله أهلها على كل حالة ليكون ذلك أبلغ في تعذيبهم وإيلامهم، والله أعلم .

٣ـ ماء الصديد:

ماء الصديد دم مختلط بقيح يسيل من جلد الكافر ولحمه .

قال مجاهد: الصديد قيح الدم .

وقال قتادة: ما يسيل من دمه وجلده ولحمه.

(١) ابن جرير: في (جامع البيان): (٢٣/ ١٤) .

(٢) (فتح البيان) : (١٢/ ٥٩) .

وقال الضحاك: ما يخرج من جوف الكافر قد خالط القيح والدم .

قال الله تعالى في كتابه يصف حال الكافر عند تناوله لهذا الشراب: ﴿ مِن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ۞ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ (١) .

فالكافر يكره تناول هذا الشراب كسائر طعام وشراب أهل النار، لكن شدة العطش تدفعه إليه، فيتناوله وهو مكره على ذلك، فلا يستسيغه لقبحه وشدة حرارته التي لا تطاق، وسوء طعمه ولونه ورائحته، فيتألم لذلك ألمًا شديدًا، ويخال إليه أن الموت قد حل به من كل مكان، ولكن ليس ثَمَّ موت، فإن الله قد قضى على أهل النار بالخلود فيها كما قال عزوجل: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾(٢) .

وقد روى الترمذي وغيره عن أبي أمامة عن النبي (ﷺ) في قوله: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ۞ يَتَجَرَّعُهُ﴾ قال: «**يقرب إلى فيه فيكرهه، فإذا أدني منه شوى وجهه، ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره**»(٣) .

يقول الله تعالى: ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ .

ويقول: ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (٣) .

---

(١) إبراهيم: (١٦ ، ١٧) .

(٢) فاطر: (٣٦) .

(٣) الكهف: (٢٩) .

٤. ماء المهل:

قال الله تعالى يصور لنا حال أهل الكفر عند تناولهم لهذا الشراب: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[١].

وقد اختلف في معناه، ففي الحديث عن أبي سعيد الخدري عن النبي (ﷺ) في قوله: ﴿كَالْمُهْلِ﴾ قال: «**كعكر الزيت، فإذا قربه إلى وجهه سقطت فروة وجهه فيه**»[٢].

وعن مجاهد قال: هو القيح والدم.

وقال ابن عباس: أسود كهيئة الزيت، وفي رواية عنه قال: «هو ماء غليظ مثل دردي الزيت».

وقال سعيد بن جبير: هو الذي انتهى حره.

وعن ابن مسعود أنه سئل عن المهل، فدعا بذهب وفضة فأذابه فلما ذاب قال: هذا أشبه شيء بالمهل الذي هو شراب أهل النار، ولونه لون السماء غير أن شراب أهل النار أشد حرًا من هذا.

قال ابن جرير: وهذه الأقوال وإن اختلفت بها ألفاظ قائليها، فمتقاربات المعنى، وذلك أن كل ما أذيب من رصاص أو ذهب أو فضة فقد انتهى حره، وأن ما أوقدت عليه من ذلك النار حتى صار كدردي الزيت فقد انتهى أيضًا حره[٣].

---

(١) الكهف: (٢٩).

(٢) الترمذي: (٢٥٨١)، أحمد: (٣/٧١)، ابن حبان: (٧٤٧٣)، الحاكم: (٢/٥٠١)، أبو يعلى: (١٣٧٥)، البيهقي: في (البعث والنشور) (٦٠٦)، وضعفه الألباني في الترمذي (٤٧٨).

(٣) ابن جرير: في (جامع البيان) (١٥/١٥٨).

لباس أهل النار:

مبالغة في عذاب أهل النار فإن الله (عزوجل) قد جعل لباسهم فيها من جنس النار .

قال الله عزوجل: ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ ﴾ (١) .

وقال عزوجل: ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ (٢) .

ففي الآية الأولى أخبر الله أن ثيابهم فصلت لهم من النار على قدر أجسادهم .

قال سعيد بن جبير: ثياب من نحاس، وليس شيء من الآنية أحمى وأشد حرًا منه .

وفي الآية الثانية بين سبحانه أن ثيابهم من القطران، والقطران هو ما تطلى به الإبل إذا ما أصابها جرب، ويتميز بسرعة اشتعاله .

قال قتادة: وهو ألصق شيء بالنار.

وعن ابن عباس قال: القطران هو النحاس المذاب .

قال صديق خان في معنى الآية: أي قمصانهم من قطران تطلى بها جلودهم، حتى يعود ذلك الطلاء كالسرابيل، وقد خص القطران لسرعة اشتعال النار فيه، ولذعه مع نتن رائحته ووحشة لونه (٣) .

---

(١) الحج: (١٩) .

(٢) إبراهيم: (٤٩ ، ٥٠) .

(٣) (فتح البيان): (٧/١٣٨) .

وقال الرازي: التفاوت بين قطران القيامة وقطران الدنيا، كالتفاوت بين النارين[١].

وقد جاء في الحديث عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله (ﷺ): «... **النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب**» [٢].

عظم أجساد أهل النار:

تعظم أجساد أهل النار فيها لتلائم شدة عذابها، وليكون ذلك أبلغ في شدة إيلامهم، إذ كلما عظم الجسد كان الألم أشد وأوجع.

روى الشيخان البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): «**ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع**»[٣].

وعند مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: «**ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد، وغِلَظ جلده مسيرة ثلاث**»[٤].

وروى الترمذي عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: «**إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعًا، وإن ضرسه مثل أحد، وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة**»[٥].

وروي أيضًا من حديث أبي هريرة يرفعه: «**ضرس الكافر يوم القيامة**

(١) (مفاتيح الغيب): (٩/ ٣٧٥).

(٢) مسلم: (٢١٥٧).

(٣) البخاري: (٦٥٥١)، مسلم: (٧١١٥).

(٤) مسلم: (٧١١٤).

(٥) الترمذي: (٢٥٧٧)، الحاكم: (٤/ ٥٩٥)، (صحيح الجامع): (٢١١٤).

مثـل أحد، وفخـذه مثـل البيـضاء[١] **، ومـقعـده من النار مسيرة ثلاث مـثل الرَّبذة**[٢]**»**[٣] .

وعند أحمد والحاكم من حديث أبي هريرة: «**ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد، وعـرض جلده سبعون ذراعًا، وعضـده مثل البيضاء، وفَـخِذُه مثل وَرِقَان**[٤] **، ومقعده في النار ما بيني وبين الرَّبذة**» [٥] .

وعند البزار عن ثوبان قال: وسـئل رسول الله (ﷺ) قال: «**ضــرس الكافر مثل أحد، وغلظ جلده أربعون ذراعًا بذراع الجبار**[٦]» [٧] .

ومما يدل على عظم جسـد الكافر في النار عظم وسائل التـعذيب التي يعذبون بها في الـنار وانظر ما سبق ذكره من أحاديث في الـسلاسل والمقامع والأغلال .

سؤال أهل النار الرجعة إلى دار الدنيا:

اعلم أن أهل الشيطان لم يـكفوا عن هذا المطلب منذ أن فارقـوا الدنيا فكلما عاينوا العذاب وحل بهم ما لم يكونوا يحتـسبون، سألوا ربهم الرجعة مرة أخرى إلى دار الدنيا، كي يعملوا فيها صالحًا .

فعند الموت طلبوا ذلك، قال تعالى: ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ**

---

(١) البيضاء: اسم جبل .

(٢) الرَّبذة: قرية قرب المدينة .

(٣) الترمذي: (٢٥٧٨)، (صحيح الجامع): (٣٨٩١) .

(٤) ورقان: جبل عظيم من جبال تهامة، بين مكة والمدينة .

(٥) أحمد: (٢/٣٢٨)، (مـجمع الزوائد): (١٨٦٠٧)، الحاكم: (٤/ ٥٩٥)، البيـهقي في (البعث والنشور) (٦٢٤)، (صحيح الجامع) (٣٨٩٠) .

(٦) الجبار: أي من الجبابرة المتقدمين في القرون الأولى لعظم أجسادهم .

(٧) البزار: (٣٤٩٦)، (صحيح الجامع): (٣٨٨٨) .

رب ارجعون * لعلي أعمل صالحا فيما تركت ﴾ فكان الجواب: ﴿ كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ (١).

وعند الوقوف بين يدي الله في عرصات القيامة طلبوا ذلك أيضًا .

قال تعالى: ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون ﴾ . فأجابهم الله بقوله: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين * فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ﴾ (٢).

وعند الوقوف على النار عاودوا طلب ذلك قال تعالى: ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴾ فيجيبهم الله بقوله: ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون * وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين﴾ (٣).

وها هم بعد ما دخلوا جهنم، وأحاط بهم سرادقها وحل بهم عذابها، وأحاطهم من كل مكان طلبوا الرجوع إلى الدنيا مرة أخرى كي يؤمنوا بربهم ويعملوا صالحًا، قال تعالى: ﴿ فكبكبوا فيها هم والغاوون * وجنود إبليس أجمعون * قالوا وهم فيها يختصمون * تالله إن كنا لفي ضلال مبين * إذ نسويكم برب العالمين * وما أضلنا إلا المجرمون * فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم * فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين﴾ (٤).

(١) المؤمنون: (٩٩ ، ١٠٠) .
(٢) السجدة: (١٢ ـ ١٤) .
(٣) الأنعام: (٢٧ ـ ٢٩) .
(٤) الشعراء: (٩٤ ـ ١٠٢) .

وقال تعالى: ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ .

فيجيبهم الله بقوله: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ (1).

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾

فيجيبهم الله بقوله: ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ (2).

وقال تعالى: ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾

فيجيبهم الله بقوله: ﴿ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾(3) . أي: امكثوا في نار جهنم صاغرين أذلة ولا تعودوا إلى سؤالكم هذا مرة أخرى لأنه لن يجاب لكم .

وعند ذلك يكف أهل الشيطان عن السؤال مرة أخرى، وينقطع عنهم كل رجاء بعد أن رفض مطلبهم هذا في كل موقف من مواقف القيامة؛ لأن الله الذي خلقهم أعلم بحالهم، وأنهم لو أرادوا الهداية لهداهم حال حياتهم

---

(1) غافر: (١١ ، ١٢) .

(2) فاطر: (٣٦ ، ٣٧) .

(3) المؤمنون: (١٠٦ ، ١٠٧) .

الدنيوية، لكنهم آثروا الضلالة على الهدى والكفر على الإيمان، ولو أعادهم إلى الدنيا مرة أخرى ما تغير حالهم ولعادوا لما نهوا عنه، وقالوا كما قالوا من قبل: ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾[١] ، فليس مطلبهم الرجعة إلى الدنيا حبًا في الإيمان وإنما خوفًا من عذاب الله .

ولا يجد أهل الشيطان بعد هذا سوى التلاعن والتخاصم حيث يلقي كل فريق على الآخر باللوم وينسب إليه أنه كان السبب فيما أفضوا إليه .

تلاعن وتخاصم أهل النار:

يتلاعن ويتخاصم أهل النار في كل موقف من مواقف القيامة، ويلقي كل منهم باللوم على صاحبه في أنه السبب فيما أفضوا إليه، وتتبدل كل محبة كانت بينهم في الدنيا عداوة يوم القيامة، وصدق الله إذ يقول: ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾[٢] .

وتعظم هذه العداوة وتشتد بدءًا من دخولهم النار، قال تعالى: ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾[٣] .

وقال تعالى: ﴿ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ۞ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾[٤] . أي يقول التابعون للمتبوعين: لا ترحاب لكم أنتم؛ لأنكم كنتم السبب فيما أفضينا إليه من العذاب بما قدمتموه لنا في دار الدنيا .

(١) الأنعام: ٢٩ .

(٢) الزخرف: ٦٧ .

(٣) الأعراف: ٣٨ .

(٤) ص: ٥٩ ، ٦٠ .

فإذا ما اجتمعوا في النار واستقروا فيها معًا تحاجوا وتخاصموا وتنصل كل فريق من الآخر وألقى باللائمة عليه قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ** ﴾ [١].

أي أننا كنا لكم تبعًا في دار الدنيا، كلما أمرتمونا بشيء أطعناكم فيه، فهل أنتم دافعون عنا شيئًا من العذاب الذي حل بنا كما كنتم تعدوننا وتمنوننا.

وإنما يقولون لهم ذلك بغرض توبيخهم وإيلامهم؛ لأنهم يعلمون أنهم لا قدرة لهم على دفع العذاب عنهم، إذ لو أن لهم القدرة على ذلك لدفعوه عن أنفسهم، وهكذا ما أقر به المستكبرون في كلامهم كما حكى القرآن: ﴿ **قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ** ﴾ [٢]. أي كلانا في النار، ولو كنا نستطيع دفع العذاب لدفعناه عن أنفسنا .

فإذا رأوا منهم ذلك، ولم يجدوا لهم محيصًا ولا مصرفًا يصرفهم عن عذاب الله، ويئسوا من الخلاص مما هم فيه تحسروا وندموا على ما كان منهم من معصية لله وطاعة للسادة والكبراء، ودعوا عليهم باللعنة والعذاب ، قال الله تعالى: ﴿ **يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ۞ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ۞ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا** ﴾ [٣].

---

(١) غافر: (٤٧) .

(٢) غافر: (٤٨) .

(٣) الأحزاب: (٦٦ ـ ٦٨) .

وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ۝ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (١).

نداؤهم خزنة النار:

لقد فعل أهل النار كل شيء بغية الخروج منها، فتارة ينادون ربهم راجين إخراجهم منها وإعادتهم إلى دار الدنيا، وتارة يبحثون عن شفعاء يشفعون لهم عند ربهم، وتارة يتلاومون فيما بينهم ويتلاعنون، وتارة ينكرون أنهم كانوا مشركين، ومع ذلك لم ينفعهم شيء من هذا وتتقطع بهم السبل ، وينعدم لديهم كل أمل في الخروج من النار ويوقنون حق اليقين أنهم ماكثون فيها، فينادون خزنة النار أن يشفعوا لهم عند ربهم كي يخفف عنهم العذاب، ولو يومًا واحدًا ، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴾، فتجيبهم الخزنة قائلين: ﴿ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾، أو ليس قد جاءتكم رسل ربكم بالبينات، فيقولون: ﴿ بَلَىٰ ﴾ أي: قد جاءتنا رسل ربنا فكذبناهم، فتقول لهم الخزنة: ﴿ فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ (٢). أي: فادعوا أنتم لأنفسكم فنحن لن ندعو لكم ولن نسمع منكم، ولا نود خلاصكم، وسواء دعوتم أو لم تدعوا فلن يستجاب لكم، ولن يخفف عنكم .

فإذا يئس أهل النار من الاستجابة لمطلبهم وأيقنوا أنهم لن تلبى لهم

---

(١) الأعراف: (٣٨ ، ٣٩) . (٢) غافر: (٤٩ ، ٥٠) .

رغبة ولن يجاروا مهما استجاروا، لا يجدون لأنفسهم خلاصًا فيما هم فيه من العذاب والنكال غير تمني الموت، فينادون مالكًا خازن النار فيتوسلون به إلى الله كي يريحهم فيما هم فيه بالموت فلا يجاب لهم، قال تعالى: ﴿ **ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون** ﴾ (١). أي: مقيمون فيما أنتم فيه من العذاب لا خروج لكم منه أبدًا.

ويعلل مالك أسباب خلودهم في النار بقوله: ﴿ **لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون** ﴾ (٢).

فيبقوا فيما هم فيه من العذاب، لا يستجاب لهم، ولا يسمع إليهم، ولا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من العذاب.

قال تعالى: ﴿ **والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور** ﴾ (٣).

وقد جاء في الحديث عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله (ﷺ): «**يلقى على أهل النار الجوع فيَعْدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع، لا يسمن ولا يُغني من جوع، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغُصَص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب، فيدفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم، فإذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم، فيقولون ادعوا خزنة جهنم، فيقولون: ﴿ أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا**

---

(١) الزخرف: (٧٧).

(٢) الزخرف: (٧٨).

(٣) فاطر: (٣٦).

بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ﴾ قال: **فيقولون ادعوا مالكًا، فيقولون:** ﴿ **يا مالك ليقض علينا ربك** ﴾ قال: **فيجيبهم:** ﴿ **إنكم ماكثون** ﴾ قال الأعمش: نبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام، قال: **فيقولون: ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم، فيقولون:** ﴿ **ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قومًا ضالين * ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون** ﴾ قال: **فيجيبهم:** ﴿ **اخسئوا فيها ولا تكلمون** ﴾ قال: **فعند ذلك يئسوا من كل خير، وعند ذلك يأخذون في الزفير والحسرة والويل»** [(١)].

نداء أصحاب الأعراف:

الأعراف: جمع عرف، وهو كل مكان مرتفع من جبل وسور ونحوهما، والأعراف السور المضروب بين الجنة والنار الذي قال الله فيه: ﴿ **فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب** ﴾ [(٢)].

أما أصحاب الأعراف فللعلماء فيهم أقوال كثيرة: فقيل: هم قوم أنبياء، وقيل: هم الشهداء، وقيل: قوم صالحون فقهاء وعلماء، وقيل: قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، وقيل: ملائكة موكلون بهذا السور، وقيل غير ذلك.

وقد ذكر القرطبي (رحمه الله) في تعيينهم اثني عشر قولاً في كتابه التذكرة، فانظرها هناك [(٣)].

قال الله تعالى في شأنهم: ﴿ **وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال**

---

(١) الترمذي: (٢٥٨٦)، (ضعيف الجامع): (٦٤٤٤).

(٢) الحديد: (١٣).

(٣) (التذكرة): (٢/١٦).

يعرفون كُلاًّ بسيماهُم ونادوا أصحاب الجنة أن سلامٌ عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون * وإذا صُرفت أبصارُهُم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين * ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون * أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوفٌ عليكم ولا أنتم تحزنون﴾ [1].

فأصحاب الأعراف يعرفون كلاً من أهل الجنة وأهل النار، بعلامات تميز كل فريق عن الآخر، فأما أهل الجنة فإنهم يعرفون ببياض الوجوه، ونضرة النعيم التي تظهر على وجوههم، وجمال الخلقة وحسن المظهر والمنظر، وأما أهل النار فإنهم يعرفون بسواد الوجوه، وزرقة العيون وقبح الخلقة وسوء المظهر والمنظر .

وينادي أهل الأعراف على أهل الجنة نداء تحية وإجلال وتكريم وتبشير: ﴿**أن سلامٌ عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون**﴾، أي لم يدخلوا الجنة بعد وهم يطمعون في دخولها .

ثم يصرفون أبصارهم حيال أهل النار سائلين الله ألا يجعلهم معهم، ويخصون بالنداء فئة من أصحاب النار، يعرفونهم بعلاماتهم، كانوا يستكبرون في الدنيا، ويجمعون لها، ويستحقرون فقراء المؤمنين، والمستضعفين منهم فيوبخونهم، ويقرعونهم ويبكتونهم على ما كان منهم بقولهم: ﴿**ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون * أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوفٌ عليكم ولا أنتم تحزنون**﴾، أي:

---

(١) الأعراف: (٤٦ ـ ٤٩) .

أهؤلاء المؤمنين الذين أقسمتم أن الله لا يغمرهم برحمته ولا يدخلهم جنته؟! فقد خاب ظنكم وبطل زعمكم، فقد شملهم الله برحمته وأدخلهم جنته، ثم يقال لهؤلاء المؤمنين تكريمًا وإجلالاً لهم: ﴿**ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾، فليس بعد دخول الجنة خوف ولا حزن على من دخلها، وقيل: إن الذين أمروا بدخول الجنة هم أصحاب الأعراف .

تنادي أصحاب الجنة و أصحاب النار:

بعدما يستقر أهل الجنة في الجنة، وينزلون منازلهم فيها، ويتنعمون بنعيمها، ويستقر أهل النار في النار، وينزلون منازلهم فيها، ويتلظون بلظاها، ينادي كل فريق على الآخر .

فأما أهل الجنة فإنهم ينادون أهل النار نداء تقريع، وتوبيخ وتبكيت، قال تعالى: ﴿**وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ**﴾ [1].

والاستفهام في الآية كغيره من الاستفهامات التي توجه إلى أهل النار يوم القيامة، الغرض منه التقريع والتوبيخ والتبكيت، ذلك أن أهل الجنة لا يجهلون حال أهل النار، فحالهم معلوم لديهم، لكنهم يريدون إيقاع الحسرة في قلوبهم خاصة بعد ما نزل كل فريق منهم منزله وعايش مصيره، ورأى أهل النار أهل الجنة في الجنة يتنعمون بينما هم في النار يتعذبون، فإذا أجاب أهل النار أهل الجنة على سؤالهم، وأخبروهم أنهم قد وجدوا ما وعدهم ربهم حقًا نادى بينهم مناد: ﴿**أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن**

---

(١) الأعراف: (٤٤) .

سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ [١].

ويرسل الله على أهل النار الجوع، فيستغيثون فيغاثون بطعام النار الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، وشرابهم من الحميم والصديد والمهل الذي لا يغني من الظمأ بل يحدث فيهم من الآلام والأوجاع ما يحدث، فينادون أصحاب الجنة في مذلة ورجاء، يستطعمونهم ويستسقونهم، مما يتنعمون به في الجنة من الطعام والشراب، فينادي الواحد منهم على من يعرفهم من أهل الجنة، فلا يجيبونهم إلى طلبهم ليزدادوا غمًا على غمهم وهمًا على همهم وحسرة على حسرتهم، قال تعالى: **﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾** [٢].

ثم ينعتهم بقوله: **﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾** [٣].

وقوله تعالى: **﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ﴾**، ليس المراد منه حقيقة النسيان، فالله لا ينسى ولا ينبغي له أن ينسى فهو منزه عن ذلك، وإنما المراد أنه سبحانه وتعالى يعاملهم معاملة من نسيهم؛ **لأنه سبحانه لا يشذ عن علمه شيء**، وقيل المراد: نتركهم من الرحمة في هذا اليوم كما تركوا العمل من أجله، **فيجازيهم الله سبحانه جزاءً من جنس عملهم** .

---

(١) الأعراف: (٤٤ ، ٤٥) .

(٢) الأعراف: (٥٠) .

(٣) الأعراف: (٥١) .

أشد الناس وأهونهم عذابًا في النار:

إنما جعلت النار دركات، بعضها فوق بعض وجعل لها سبعة أبواب، لكل باب منهم جزء مقسوم، لأن أهلها متفاوتون في المعاصي، إذ لا يستوي عذاب أهل التوحيد الذين شهدوا لله بالوحدانية، وللرسول (ﷺ) بالرسالة، وغلبت سيئاتهم حسناتهم بعذاب أهل الشرك، كما لا يستوي عذاب الضال المضل بعذاب الضال، ولا يستوي عذاب أبي طالب رغم شركه بعذاب أبي جهل وأبي لهب، فلا يستوي عذاب من أحسن إلى الأنبياء وذاد عنهم بعذاب من آذاهم وحاربهم وعاداهم وقاتلهم وقتلهم، فأبو طالب كان يذود عن النبي (ﷺ) بينما أبو جهل وأبو لهب كانا يحرصان على إيذائه وقتله، والقضاء على دعوته، فلكل منهم عذاب يناسب عمله وكفره .

قال تعالى: ﴿ **وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴾ [١].

ويقول رسول الله (ﷺ): «**منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته**» [٢].

وأهون الناس عذابًا يوم القيامة رجل منتعل بنعلين من نار يغلي منهما دماغه، كما في حديث النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله (ﷺ): «**إن أهون أهل النار عذابًا من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه، كما**

---

(١) الأحقاف: (١٩) .

(٢) مسلم: (٧٠٩٩) عن سمرة بن جندب .

يغلي المرجل، ما يرى أن أحدًا أشد منه عذابًا، وإنه لأهونهم عذابًا» [١].

وقد سئل رسول الله (ﷺ): هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «**نعم هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**» [٢].

وعنه (ﷺ) أنه قال: «**أهون أهل النار عذابًا أبو طالب، وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه**» [٣].

وأما أشد أهل النار عذابًا يوم القيامة فمنهم المنافقون، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا**﴾[٤].

وإنما كان المنافقون في الدرك الأسفل من النار لعظم كفرهم، إذ كانوا يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، فيخادعون بذلك أهل الإيمان الذين كانوا يأمنونهم، ويوالونهم، ويطلعونهم على أسرارهم، ويعاملونهم على أنهم مؤمنون.

ويحسب أهل النفاق بجهلهم وقلة علمهم أنهم كما خدعوا أهل الإيمان، وراج ظاهرهم عندهم فإنهم يخادعون الله بظاهرهم، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، فهو سبحانه الذي لا يخادع لأنه العالم وحده بالسرائر.

قال تعالى في شأن المنافقين: ﴿ **يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ**

---

(١) البخاري: (٦٥٦١)، مسلم: (٥١٦)، الترمذي: (٢٦٠٤).

(٢) البخاري: (٣٨٨٣)، مسلم: (٥٠٩).

(٣) مسلم: (٥١٤) عن ابن عباس.

(٤) النساء: (١٤٥).

إلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [١].

وقال تعالى: ﴿ **يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ** ﴾ [٢].

وخداع الله لهم في الدنيا يكون بمدهم في طغيانهم وضلالهم يعمهون، أما يوم القيامة فإنه يحشرهم في زمرة أهل الإيمان ويجعلهم يعتقدون أنهم منهم، حتى إذا ظنوا أنهم قد نجوا من عذاب الله، أطفأ عنهم النور الذي كانوا يمشون فيه، وضرب بينهم وبين أهل الإيمان بسور له باب باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب .

وأشد الناس عذابًا يوم القيامة آل فرعون، قال تعالى: ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾ [٣].

وأيضا من أشد الناس عذابًا يوم القيامة، من كفر من أصحاب المائدة، قال تعالى: ﴿ **قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ** ﴾ [٤].

قال عبد الله بن عمرو: «**إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة من كفر من أصحاب المائدة، والمنافقون، وآل فرعون**» [٥].

ومنهم: أشد الناس عذابًا للناس في الدنيا فقد قال رسول الله (ﷺ):

---

(١) البقرة: (٩) .

(٢) النساء: (١٤٢) .

(٣) غافر: (٤٦) .

(٤) المائدة: (١١٤ ، ١١٥) .

(٥) ابن جرير: (في جامع البيان): (٧/ ٨٨) .

«**أشد الناس عذابًا للناس في الدنيا أشد الناس عذابًا عند الله يوم القيامة**» [١].

ومنهم: الإمام الجائر، قال (ﷺ): «**أشد الناس يوم القيامة عذابًا إمام جائر**» [٢].

ومنهم: رجل قتل نبيًا أو قتله نبي، ورجل يضل الناس بغير علم، والمصورون الذين يضاهون بخلق الله، قال (ﷺ): «**وأشد الناس عذابًا يوم القيامة رجل قتل نبيًا أو قتله نبي، وإمام ضلالة، وممثل من الممثلين**» [٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت دخل عليَّ رسول الله (ﷺ)، وقد سترت سهوة[٤]،لي بقرام [٥]، فيه تماثيل، فلما رآه هتكه وتلون وجهه، وقال: «يا عائشة: **أشد الناس عذابًا عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله**». قالت عائشة: فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين [٦].

خروج أهل التوحيد من النار:

يدخل النار يوم القيامة مع اليهود والنصارى والكفار طائفة من أهل التوحيد، الذين غلبت سيئاتهم حسناتهم، فيمكثون فيها يعذبون بسبب ذنوبهم إلى ما شاء الله، ثم يخرجهم منها بشفاعة الشافعين، ويدخلهم الجنة

(١) أحمد: (٤/ ٩٠)، الطبراني: في(الكبير) (٣٨٢٤)، (مجمع الزوائد) (٩١٨٧)، البيهقي: في(شعب الإيمان) (٥٣٥٦) عن خالد بن الوليد، (صحيح الجامع)(٩٩٨).

(٢) أبو يعلى: (١٠٨٨)، الطبراني: في (الأوسط) (١٦١٨) وأبو نعيم في الحلية(١٠/ ١١٤)، (صحيح الجامع الصغير): (١٠٠١) عن أبي سعيد.

(٣) أحمد: (١/ ٤٠٧)، البزار: (١٦٠٣)، عن ابن مسعود (صحيح الجامع): (١٠٠٠).

(٤) السَّهْوَةُ: قيل: الكوة، وقيل: الرف، وقيل: بيت صغير يشبه المخدع.

(٥) القِرَامُ: ستر فيه رقم ونقش.

(٦) البخاري: (٥٩٥٤)، مسلم: (٥٤٩٤)، النسائي: (٥٣٧١).

بفضله ورحمته، قال (ﷺ): **«يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال لاإله إلا الله، وفي قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة»** (١).

فالذنوب جميعها يغفرها الله عدا الشرك لا يغفره الله لمن مات عليه،

قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾(٢). وقال تعالى: ﴿**إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ**﴾ (٣).

وفي الصحيح أن أبا ذر (رضي الله عنه) قال: أتيت النبي (ﷺ) وهو نائم عليه ثوب أبيض، ثم أتيته فإذا هو نائم، ثم أتيته فقد استيقظ، فجلست إليه فقال: **«ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة»** قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: **«وإن زنى وإن سرق»** قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: **«وإن زنى وإن سرق»** ثلاثًا، ثم قال في الرابعة: **«على رغم أنف أبي ذر»** (٤).

وعن معاوية قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: **«كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يقتل المؤمن متعمدًا، أو الرجل يموت كافرًا»** (٥).

فالله يخرج أهل التوحيد من النار ويدخلهم الجنة رحمة منه وفضلا،

---

(١) البخاري: (٥٤٤)، مسلم: (٤٧٧)، الترمذي: (٢٥٩٣)، ابن ماجة: (٤٣١٢).

(٢) النساء: (٤٨).

(٣) المائدة: (٧٢).

(٤) البخاري: (٥٨٢٧)، مسلم: (٢٦٩).

(٥) النسائي: (٣٩٩٥)، أحمد: (٤/ ٩٩)، الحاكم: (٤/ ٣٥١)، (صحيح الجامع) (٤٥٢٤).

لأنهم لاقوه على التوحيد الخالص لله، فيشفع فيهم الشافعين من ملائكته وأنبيائه ورسله وصالحي المؤمنين فيخرجون من النار كل من شفعوا فيهم، وتبقى شفاعة رب العالمين، فيخرج من بقي في النار من أهل التوحيد، ويترك فيها من وجب عليه الخلود كإبليس وفرعون وهامان وقارون وسائر من كفر بالله وتكبر وطغى .

وفي الصحيح من حديث الشفاعة الطويل عن أبي سعيد الخدري أن النبي (ﷺ) قال: «... **إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا، ويصلون ويحجون فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار، فيخرجون خلقًا كثيرًا، قد أخذت النار إلى نصف ساقيه، وإلى ركبتيه، ثم يقولون: ربنا ! ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا! لم نذر فيها أحدًا مما أمرتنا به، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا ! لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدًا، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيرًا**»

وكان أبوسعيد الخدري يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرأوا إن شئتم: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾، فيقول الله عزوجل: «**شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا شفاعة أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج**

منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط، قد عادوا حُممًا، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة، يقال له نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو الشجر، ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض»

فقالوا: يا رسول الله! كأنك كنت ترعى البادية؟ قال: «**فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة، هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه، ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون: ربنا! أعطيتنا مالم تعط أحدًا من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا، فيقولون: يا ربنا! أي شيء أفضل من هذا؟ فيقول: رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبدًا**» [1].

قال الإمام النووي رحمه الله: واعلم أن مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف أن من مات موحدًا دخل الجنة قطعًا على كل حال، فإن كان سالمًا من المعاصي، كالصغير، والمجنون، والذي اتصل جنونه بالبلوغ، والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي، إذا لم يحدث معصية بعد توبته، والموفق الذي لم يبتل بمعصية أصلاً، فكل هذا الصنف يدخلون الجنة، ولا يدخلون النار أصلاً، لكنهم يردونها على الخلاف المعروف في الورود، والصحيح أن المراد به المرور على الصراط، وهو منصوب على ظهر جهنم، أعاذنا الله منها ومن سائر المكروه، ومن كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة فهو في مشيئة الله تعالى فإن شاء عفا عنه

(١) البخاري: (٧٤٣٩)، مسلم: (٤٥٣).

وأدخله الجنة أولا وجعله كالقسم الأول، وإن شاء عذبه القدر الذي يريده (سبحانه وتعالى) ثم يدخله الجنة، فلا نجد في النار أحدًا مات على التوحيد، ولو عمل من المعاصي ما عمل، كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر ولو عمل من أعمال البر ما عمل، هذا مختصر جامع لمذهب أهل الحق في هذه المسألة. وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به من الأمة على هذه القاعدة وتواترت بذلك نصوص تحصل العلم القطعي [١].

آخر أهل النار دخولا الجنة:

وهو آخر من يخرج من النار ويدخل الجنة من أهل التوحيد الذين شملتهم شفاعة الشافعين .

فعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله (ﷺ): «**إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة، رجل يخرج من النار حبواً ، فيقول الله تبارك وتعالى: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: يارب! وجدتها ملأى، فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها ـ أو إن لك عشرة أمثال الدنيا ـ قال: فيقول: أتسخر بي ـ أو تضحك بي ـ وأنت الملك؟ قال: لقد رأيت رسول الله (ﷺ) ، ضحك حتى بدت نواجذه ، قال: وكان يقال: ذاك أدنى أهل الجنة منزلة**» [٢].

---

(١) مسلم: (شرح النووي): (١٦/ ١٦٥) .

(٢) البخاري: (٦٥٧١)، مسلم: (٤٦٠)، الترمذي: (٢٥٩٥)، ابن ماجة: (٤٣٣٩) .

وعن أنس وابن مسعود أن رسول الله (ﷺ) قال: «**آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين، فترفع له شجرة فيقول: أي رب ! أدنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول الله عزوجل: يا بن آدم! لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها، فيقول: لا يا رب! ويعاهده ألا يسأله غيرها،وربه يعذره، لأنه يرئ ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: أي رب! أدنني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا بن آدم! ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟، فيقول: لعلي إن أدنيتك منها سألتني غيرها، فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره، لأنه يرئ ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة، هي أحسن من الأولين، فيقول: أي رب! أدنني من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا بن آدم! ألم تعاهدني ألا تسألني غيرها؟ قال: بلئ يارب ! هذه لا أسألك غيرها، وربه يعذره لأنه يرئ ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أي رب! أدخلنيها، فيقول: يا بن آدم!ما يُصْرِيني [1] منك؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: أي رب! أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟**».

فضحك ابن مسعود فقال: ألا تسألونني مم أضحك؟

---

(١) يُصْرِيني: يقطع مسألتك مني .

فقالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله (ﷺ)، فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: «**من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ فيقول: إني لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قادر**»[1].

خلود أهل الدارين:

إذا أخرج الله أهل التوحيد من النار بشفاعة الشافعين وأدخلهم الجنة نادى مناد في النار: ﴿**رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ**﴾ فيقول لهم الحق تعالى: ﴿**اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ**﴾[2].

فيصمتون ولا ينبس أحد منهم بكلمة بعدها، ثم يقضي الله بالخلود على أهل الدارين، كل فيما هم فيه، بعد ذبح الموت بين الجنة والنار، فيزداد أهل النار حسرة على حسرتهم، وهمًا على همهم، وحزنًا على حزنهم، ويزداد أهل الجنة فرحًا على فرحهم، وسرورًا على سرورهم، وسعادة على سعادتهم وأمنًا على أمنهم .

ففي الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ﷺ): «**يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة فيشرئبون**[3] **وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم! هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار! فيشرئبون وينظرون فيقول: هل**

(١) مسلم: (٤٦٢) .

(٢) المؤمنون: (١٠٧ ، ١٠٨) .

(٣) فيشرئبون: يرفعون رؤوسهم إلى المنادي .

تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم! هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة! خلود فلا موت ويا أهل النار! خلود فلا موت» ثم قرأ: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾[١]»[٢].

وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله (ﷺ) قال: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وصار أهل النار إلى النار أُتي بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح، ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة! لا موت ويا أهل النار! لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحًا على فرحهم، ويزداد أهل النار حزنًا على حزنهم»[٣].

ولقد أخبرنا ربنا عز وجل عن خلود أهل النار في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۞ لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۞ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ۞ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى ۞ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ۞ ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى ﴾[٦].

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ﷺ): «أما

---

(١) مريم: (٣٩).

(٢) البخاري: (٤٧٣٠)، مسلم: (٧١١٠).

(٣) البخاري: (٦٥٤٨)، مسلم: (٧١١٣).

(٤) فاطر: ٣٦.

(٥) الزخرف: ٧٤ - ٧٧.

(٦) الأعلى: ١١ - ١٣.

أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لايموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم، فأماتتهم إماتة؛ حتى إذا كانوا فحمًا، أذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر[1] فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة! أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبَّة تكون مثل حميل السيل» فقال رجل من القوم: كأن رسول الله (ﷺ) قد كان بالبادية [2].

فأهل النار يرون أن في الموت راحة لهم من العذاب الذي حل بهم، فيتمنونه، وقد كان أبغض شيء إليهم، ولكن لا سبيل لهم إليه، فإنهم مخلدون فيما هم فيه من العذاب ولا محيص لهم عنه .

وأما أهل الجنة فقد قال الله تعالى في شأنهم: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾**[3].

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي (ﷺ) أنه قال: **«ينادي مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتون أبدًا. وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا»**[4] فذلك قوله عزوجل: **﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**[5].

---

(١) ضبائر: جماعات متفرقة .

(٢) مسلم: (٤٥٨)، ابن ماجة: (٤٣٠٩) .

(٣) البينة: (٧ ، ٨) .

(٤) مسلم: (٧٠٨٦)، الترمذي: (٣٢٤٦) .

(٥) الأعراف: (٤٣) .

خطبة إبليس لأهل النار:

بعد أن يقضي الله على أهل النار بالخلود الأبدي فيها، وينزل بهم العذاب، ولم يعد لهم محيص عنه ولا مفر منه، وتتقطع بهم السبل وتتبدد بهم الآمال وتزول عنهم أسباب النجاة، يلقون باللوم على إبليس، وأنه كان السبب فيما أفضوا إليه من العذاب والنكال .

فيقف اللعين خطيبًا بينهم ليقول لهم كلمة الحق التي طالما أخفاها عليهم وصدهم عنها في حياتهم الدنيوية، قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [١] .

فيخبرهم اللعين بعد فوات الأوان أن كل ما وعدهم به الله في الدنيا على لسان رسله من البعث والحساب والثواب والعقاب حق وصدق، وأن ما وعدهم به الشيطان من نفي لهذه الأمور كان باطلاً، أضلهم به عن الحق، والطريق المستقيم بغير حجة أو برهان أو سلطان يقهرهم به على طاعته، وكل ما فعله معهم أنه أغراهم بالوعود الكاذبة والأماني الباطلة وزين لهم الدنيا فانقادوا له وآمنوا به .

ويلقي عليهم اللعين باللائمة ويتنصل منهم بعد أن قامت عليهم الحجة، ويتبرأ من عبادتهم لغير الله قائلاً لهم: ﴿ **فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ**

---

(١) إبراهيم: (٢٢) .

الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ .

قال الشوكاني رحمه الله : لقد قام لهم الشيطان في هذا اليوم مقاما يقصم ظهورهم، ويقطع قلوبهم، فأوضح لهم:

أولاً ـ أن مواعيده التي كان يعدهم بها في الدنيا باطلة معارضة لوعد الحق من الله سبحانه وتعالى ، وأنه أخلفهم ما وعدهم من تلك المواعيد ولم يف لهم بشيء منها .

ثم أوضح لهم ثانيًا ـ بأنهم قبلوا قوله بما لا يوجب القبول، ولا يتفق على عقل عاقل لعدم الحجة التي لابد للعاقل منها في قبول قول غيره .

ثم أوضح لهم ثالثًا ـ بأنه لم يكن منه إلا مجرد الدعوة العاطلة عن البرهان الخالية عن أيسر شيء مما يتمسك به العقلاء .

ثم نعى عليهم رابعًا ـ ما وقعوا فيه، ودفع لومهم له، وأمرهم بأن يلوموا أنفسهم؛ لأنهم هم الذين قبلوا الباطل البحت الذي لا يلتبس بطلانه على من له أدنى عقل .

ثم أوضح لهم خامسًا ـ بأنه لا نصر عنده ولا إغاثة، ولا يستطيع لهم نفعًا، ولا يدفع عنهم ضرًا، بل هو مثلهم في الوقوع في البلية والعجز عن الخلوص عن هذه المحنة .

ثم صرح لهم سادسًا ـ بأنه قد كفر بما اعتقدوا فيه وأثبتوه له فتضاعفت عليهم الحسرات وتوالت عليهم المصائب .

وإذا كان جملة : ﴿ **إن الظالمين لهم عذاب أليم** ﴾ من تتمة كلامه كما ذهب إليه البعض فهو نوع سابع من كلامه الذي خاطبهم به، فأثبت لهم

الظلم، ثم ذكر ما هو جزاؤهم عليه من العذاب الأليم، لا على قول من قال: إنه ابتداء كلام من جهة الله سبحانه[١].

(١) (فتح القدير): (٣/ ١٠٤).

صفة الجنة وأحوال أهل الإيمان فيها

اعلم - يرحمني الله وإياك - أن ما سنذكره هنا عن صفة الجنة ونعيمها وما أعده الله لأهل الإيمان فيها، ما هو إلا غيض من فيض، ذلك أننا لا نستطيع الإحاطة علمًا بكل ما أعده الله لأهل الإيمان فيها ، فالذي أعده الله في الجنة لأهلها كثيرٌ جدًا لا يمكن حصره، ولا يعلم جملته وتفصيله إلا الله، ففيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولا يعلمه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وحسبك قول الله تعالى: ﴿ **لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ** ﴾[1].

وقول رسول الله (ﷺ) فيما يرويه عن ربه: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**». مصداق ذلك في كتاب الله: ﴿ **فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[2] .

وفي لفظ مسلم: قال الله عزوجل: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**»[3].

قال الإمام النووي: ومعناه: دع عنك ما أطلعكم الله عليه، فالذي لم

---

(١) ق: ٣٥ .

(٢) البخاري: (٣٢٤٤)، مسلم: (٧٠٦٣)، الترمذي: (٣١٩٧) عن أبي هريرة .

(٣) مسلم: (٧٠٦٤) عن أبي هريرة .

يطلعكم الله عليه أعظم [١].

وقال ابن حجر: زاد ابن مسعود في حديثه: «**ولا يعلمه ملك مقرب، ولا نبي مرسل**» . أخرجه ابن أبي حاتم، وهو يدفع قول من قال: إنما قيل البشر لأنه يخطر بقلوب الملائكة، والأولى حمل النفي فيه على عمومه فإنه أعظم في النفس [٢].

ولذا فإن ما سنذكره هنا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ما هي إلا شواهد ودلائل لبعض ما أعده الله لعباده الصالحين في الجنة وليس كل ما في الجنة من النعيم المقيم إذ لا يعلم قدر ذلك إلا الله .

الجنة موجودة الآن:

مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق أن النار والجنة موجودتان مخلوقتان الآن، خلافًا للمعتزلة والجهمية الذين يزعمون أن الله ينشؤها يوم القيامة وأن خلقها قبل الجزاء عبث لأنها تصير معطلة مددًا متطاولة لا يسكنها أهلها .

يقول ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ في كتابه حادي الأرواح: لم يزل أصحاب رسول الله (ﷺ) والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة، وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، فإنهم دعوا الأمم إليها، وأخبروا بها إلى أن نبغت

(١) مسلم: بشرح النووي:(١٧/ ١٦٤) .

(٢) (فتح الباري): (٨/ ٣٧٦) .

نابغة من القدرية والمعتزلة فـأنكرت أن تكون مخلوقة الآن، وقالت: بل الله ينشؤها يوم القيامة، وحملهم ذلك أصلهم الفاسد ، الذي وضعوا به شريعة فيما يفعله الله، وأنه ينبغي أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وقاسوه على خلقه في أفعالهم فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة في الصفات وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث، فإنها تصير معطلة مددًا متطاولة ليس فيها سكانها .

قالوا: ومن المعلوم أن ملكًا لو اتخـذ دارًا وأعد فيهـا ألوان الأطعمة، والآلات والمصالح وعطلها من الناس ولم يمكنهم من دخـولها قرونا متطاولة لم يكن مـا فعلـه واقعًـا على وجه الحـكمة، ووجـد العقـلاء سـبيـلا إلى الاعتـراض عليه!! فحـجروا على الرب (تعالـى) بعقولهم الفـاسدة وآرائهم الباطلـة !! وشبهـوا أفعـاله بأفعالـهم، وردوا من النصوص مـا خالف هذه الشريعـة الباطلة التي وضعوها للرب أو حـرفوها عن مواضعـها ، وضللوا وبدعوا من خالفهم فيها، والتزموا فيها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء .

ولهذا يذكر السلـف في عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقـتان ويذكر من صنف في المقـالات أن هذه مقالـة أهل السنة والحديث قـاطبة لا يختـلفون فيها[1].

ويقول القرطبي ـ رحمه الله ـ في التفـسير وعامة العلماء على أن الجنة مخلوقة مـوجودة، لقوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، وهو نص حـديث الإسراء وغيره في الصحيحين وغيرهما.

---

(١) (حادي الأرواح): صـ ١١ .

وقالت المعتزلة: إنهما غير مخلوقتين في وقتنا، وإن الله إذا طوى السماوات والأرض ابتدأ خلق الجنة والنار حيث شاء؛ لأنهما دار جزاء بالثواب والعقاب فخلقتا بعد التكليف في وقت الجزاء لئلا تجمع دار التكليف ودار الجزاء في الدنيا كما لم يجتمعا في الآخرة[1].

ولقد تظاهرت الأدلة في الكتاب وصحيح السنة على أن الجنة موجودة مخلوقة الآن.

قال تعالى: ﴿ **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين** ﴾[2].

وقد أسلفنا أن قوله: ﴿ **أعدت** ﴾ بلفظ الماضي دليل على أنها موجودة. فالمعدوم لا يكون معداً.

وقال تعالى: ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى** ﴾[3].

وفي الحديث عن أبي هريرة عن رسول الله (ﷺ) قال: لما خلق الله **الجنة والنار أرسل جبريل (عليه السلام) إلى الجنة فقال: انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فنظر إليها فرجع فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بها فحفت بالمكاره، فقال: اذهب إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فنظر إليها، فإذا هي قد حفت بالمكاره، فقال: وعزتك لقد خشيت ألا يدخلها أحد، قال: اذهب إلى النار وإلى ما أعددت لأهلها فيها. فنظر إليها فإذا هي**

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٢/ ١٥٥١).

(٢) آل عمران: (١٣٣).

(٣) النجم: (١٣ ـ ١٥).

يركب بعضها بعضًا، فرجع فقال: وعزتك لا يدخلها أحد، فأمر بها فحفت بالشهوات، فقال: ارجع إليها، فنظر إليها فإذا هي قد حفت بالشهوات، فرجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها» [(١)].

وفي حديث الإسراء قال رسول الله (ﷺ): «... **ثم انطلق بي جبريل حتى انتهى إلى سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ما هي، قال: ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك»** [(٢)].

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك عن النبي (ﷺ) قال: «**بينما أنا أسير في الجنة، إذ أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طينه مسك أذفر**» [(٣)].

وفي صحيح مسلم من حديث جابر أن النبي (ﷺ) قال: «**دخلت الجنة فرأيت فيها دارًا أو قصرًا، فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فأردت أن أدخل، فذكرت غيرتك**» فبكى عمر وقال: أي رسول الله ! أوعليك أغار؟ [(٤)].

وعند مالك والنسائي وابن ماجة من حديث كعب بن مالك أن رسول الله (ﷺ) قال: «**إنما نسمة المؤمن طير يعلق في شجر الجنة، حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه**» [(٥)].

---

(١) أبو داود: (٤٧٣١)، الترمذي: (٢٥٦٠)، النسائي: (٣٧٧٢)، أحمد: (٢/ ٣٥٤)، الحاكم: (١/ ٢٦)، (صحيح الجامع): (٥٢١٠) .

(٢) البخاري: (٣٤٩)، مسلم: (٤١٤) عن أنس بن مالك .

(٣) البخاري: (٦٥٨١)، الترمذي: (٣٣٦٠) .

(٤) مسلم: (٦١٤٨) .

(٥) مالك: في (الموطأ) (كتاب الجنائز)، والنسائي: (٢٠٧٢)، وابن ماجة: (٤٢٧١)، أحمد: (٣/ ٤٥٥)، ابن حبان: (٤٦٥٧)، (صحيح الجامع): (٢٣٧٣) .

وروى الشيخان البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال: «**تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: فمالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وغرَّتهم؟ قال الله للجنة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله - تبارك وتعالى - رجله، فتقول: قط قط قط، فهنالك تمتلئ، ويزوي بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه أحدًا، وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقًا**»[1].

سعة الجنة:

إننا لا يمكننا تحديد مدى سعة الجنة إلا بالاستدلال بالكتاب والسنة، باعتبار أنهما السبيل الوحيد لمعرفة ذلك، فالجنة من الأمور الغيبية التي لا يستدل عليها إلا من خلال الكتاب والسنة، فأما الكتاب فلأنه كلام الله خالق الجنة، وأما السنة فلأنها كلام رسول الله (ﷺ) الذي لا ينطق عن الهوى وإنما يوحى إليه من ربه.

ولقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن مدى سعة الجنة في قوله تعالى: ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ **سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو**

---

(١) البخاري: (٤٨٥٠)، مسلم: (٧١٠٤).

(٢) آل عمران: (١٣٣).

الفضل العظيم ﴾ .

وقوله تعالى في الآية الأولى: ﴿ **عرضُها السموات والأرض** ﴾ أي كعرض السموات والأرض كما في الآية الثانية لأن نفس السموات والأرض ليس عرضًا للجنة، وإنما ذكر ذلك على سبيل التمثيل .

والعرض إنما ذكر للمبالغة لأن الطول عادة يكون أكبر من العرض، فإذا علم صفة عرضها فلا شك أن الطول يكون أعظم فلا يعلم قدره إلا الله .

قال صديق خان: وقد اختلف في معنى ذلك، فذهب الجمهور إلى أنها تقرن السماوات بعضها إلى بعض كما تبسط الثياب، ويوصل بعضها ببعض، فذلك عرض الجنة .

وقيل: إن هذا الكلام جاء على نهج العرب من الاستعارة دون الحقيقة، وذلك أنها لما كانت الجنة من الاتساع والانفساح في غاية قصوى حسن التعبير عنها بعرض السماوات والأرض مبالغة لأنهما أوسع مخلوقات الله سبحانه وتعالى فيما يعلمه العباد، ولم يقصد بهذا التحديد كما تقول العرب: بلاد عريضة أي واسعة طويلة عظيمة فجعل العرض كناية عن السعة[٢].

ومما يدل على عظم سعة الجنة أن آخر أهل التوحيد خروجًا من النار ودخولاً الجنة، وهو أدنى أهل الجنة منزلة له عشرة أمثال الدنيا كما في الحديث عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله (ﷺ): «**إني لأعلم**

(١) الحديد: (٢١)

(٢) (فتح البيان)، (٢ / ٣٣١) .

آخر أهـل النار خروجًـا منها، وآخـر أهل الجنة دخولاً الجنة، رجل يخـرج من النار حبـوًا، فيقول الله تبـارك وتعالىٰ له: اذهـب فادخل الجنة، فيـأتيها فيـخيل إليه أنها مـلأىٰ، فيرجع فيقـول: يارب! وجدتها ملأىٰ، فـيقول الله له: اذهب فادخل الجنة قـال: فيأتيـها فيـخيل إليـه أنها ملأىٰ، فـيرجع فيـقول: يا رب! وجدتها ملأىٰ، فـيقول الله له: اذهب فادخل الجنة فإن لك مثـل الدنيا وعشرة أمثالها ـ أو إن لك عشرة أمثال الدنيـا ـ قال: فيقول: أتسخر بي ـ أو أتضحك بي ـ وأنت الملك؟ » فيقول: لقد رأيت رسول الله (ﷺ) ضحك حتىٰ بدت نواجذه، قال: وكان يقول: «ذاك أدنىٰ أهل الجنة منزلة»[1].

ومع كـون هذا أدنىٰ أهل الجنة منزلـة فإنه يـبقىٰ فـي الجنة شيء لخلق ينشؤهم الله تعالىٰ كما في حديث: تحاجت الجنة والنار وفيه: «... فأما النار فلا تمتلئ حتىٰ يضع الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ رجله، فتقول: قط قط قط ، فهنالك تمتلئ ويزوي بعضها إلىٰ بعض، ولا يظلم الله من خلقه أحدًا ، وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقًا آخر»[2].

يقول الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شـرحه لهذا الحديث: هذا دليل لأهل السنة أن الثواب ليس متوقفًا علىٰ الأعـمال، فإن هؤلاء يخلقون حينئذ ويعطون في الجنة ما يعطون بغير عمل، ومثله أمر الأطفال، والمجانين الذين لم يعملوا طاعة قط، فكلهم في الجنة برحمة الله تعالىٰ وفضله .

وفي هذا الحديث دليل علىٰ عظم سعة الجنة، فقد جاء في الصحيح أن للواحد فيها مثل الدنيا وعشرة أمثالها، ثم يبقىٰ فيها شيء لخلق ينشؤهم الله

(١) البخاري: (٦٥٧١)، مسلم: (٤٦٠)، الترمذي: (٢٥٩٥)، ابن ماجة: (٤٣٣٩) .

(٢) البخاري: (٤٨٥٠)، مسلم: (٧١٠٤)، أبو هريرة .

تعالى [١].

والجنة ذات أبعاد ثلاثة طول وعرض وارتفاع، والعرض قد مثل الله له بعرض السموات والأرض كما بينت الآيات، والطول قد علم عظمه من عظم العرض ذلك أنه أعظم منه، أما البعد الثالث وهو الارتفاع فإنه يمثل درجات الجنة التي يعلو بعضها بعضًا ومما يدل على عظم درجات الجنة وعظم ارتفاعها قول النبي (ﷺ): «**الجنة مائة درجة كل درجة منها ما بين السماء والأرض، وإن أعلاها الفردوس، وإن أوسطها الفردوس، وإن العرش على الفردوس، منها تفجر أنهار الجنة، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس**»[٢].

أبواب الجنة:

للجنة أكثر من باب كما هو ثابت بالكتاب والسنة:

قال الله تعالى: ﴿ **جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ** ﴾ [٣].

وقال تعالى: ﴿ **وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ** ﴾ [٤].

وقد ثبت في الصحيح أن عدد أبواب الجنة ثمانية فعن سهل بن سعد عن النبي (ﷺ) قال: «**في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يسمى الريان لا**

---

(١) مسلم بشرح النووي: (١٧/ ١٨١).

(٢) ابن ماجة: (٤٣٣١)، عن معاذ. (صحيح الجامع): (٣١٢١).

(٣) ص: (٥٠).

(٤) الزمر: (٧٣).

يدخله إلا الصائمون» [١].

لكل باب من أبواب الجنة الثمانية أهل اختصوا بالدخول منه، فمن كان من أهل الصلاة دخل من باب الصلاة، إذا كان الغالب في عمله الصلاة، ومن كان من أهل الصيام دخل من باب الريان، ومن كان من أهل الجهاد دخل من باب الجهاد، وهكذا تدخل كل جماعة من الباب الذي يوافق عملهم الغالب على غيره من الأعمال الأخرى .

وهناك أناس يرخص لهم بالدخول من أي أبواب الجنة الثمانية شاءوا، كالذين يسبغون الوضوء ويتبعونه بالشهادتين، والذين لا حساب عليهم من أمة محمد (ﷺ) .

فعن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال: **«من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة يا عبد الله ! هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان»** . قال أبو بكر الصديق: يا رسول الله! ما على أحد يدعى من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال رسول الله (ﷺ): **«نعم! وأرجو أن تكون منهم»** [٢].

قال الحافظ ابن حجر: وقع في الحديث ذكر أربعة أبواب من أبواب الجنة، وتقدم في أوائل الجهاد «وإن أبواب الجنة ثمانية» وبقي من الأركان

(١) البخاري: (٣٢٢٧) .

(٢) (فتح البخاري): (١٨٩٧)، مسلم: (٢٣٦٨)، الترمذي: (٣٦٨٣)، النسائي: (٢٢٣٧).

الحج، فله باب بلا شك، وأما الثلاثة الأخرى فمنها: باب الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، رواه أحمد بن حنبل عن روح بن عبادة عن أشعث عن الحسن مرسلاً: «**إن لله بابًا في الجنة لا يدخله إلا من عفا عن مظلمة**» ومنها الباب الأيمن، وهو باب المتوكلين، الذي يدخل منه من لا حساب عليهم ولا عذاب، وأما الثالث فلعله باب الذكر، فإن عند الترمذي ما يومئ إليه، ويحتمل أن يكون باب العلم والله أعلم، ويحتمل أن يكون المراد بالأبواب التي يدعى منها أبواب من دخل أبواب الجنة الأصلية، لأن الأعمال الصالحة أكثر عددًا من ثمانية والله أعلم [١].

وقد جاء فيمن يدخلون من أبواب الجنة شاءوا ما رواه مسلم في صحيحه، وأبو داود في سننه عن عقبة بن عامر قال: أدركت رسول الله (ﷺ) قائمًا يحدث الناس، فأدركت من قوله: «**ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه، ثم يقوم فيصلي ركعتين، مقبل عليهما بقلبه ووجهه، إلا وجبت له الجنة**» قال: فقلت: ما أجود هذه! فإذا قائل بين يدي يقول: التي قبلها أجود، فنظرت فإذا عمر قال: إني قد رأيتك جئت آنفاً، قال: «**ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ - أو فيسبغ - الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبد الله ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء**» [٢].

وفي حديث الشفاعة الطويل: «... **فيقال: يا محمد! أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء**

---

(١) (فتح الباري): (٧/ ٣٥).

(٢) مسلم: (٥٥٢)، أبو داود: (١٦٨).

الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمْيَر، أو كما بين مكة وبُصرَى»[١]، وفي هذا الحديث دلالة على عظم أبواب الجنة، وقد جاء في حديث آخر: «إن ما بين مصراعين في الجنة لمسيرة أربعين سنة»[٢].

وأبواب الجنة تبقى مفتحة لا تغلق، كما قال الله تعالى: ﴿جنات عدن مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ﴾[٣].

والملائكة تدخل على أهل الجنة من هذه الأبواب فتحييهم وتسلم عليهم وتهنئهم بحسن المقام، وخير المنزل والمستقر كما قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[٤].

وهذا على خلاف أهل النار فإن الله يغلق عليهم أبوابها، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾[٥].

يقول ابن قيم الجوزية - رحمه الله - في كتابه حادي الأرواح وتأمل قوله سبحانه: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ * مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا

---

(١) البخاري: (٤٧١٢)، مسلم: (٤٧٩)، الترمذي: (٢٤٣٤)، عن أبي هريرة .

(٢) أحمد: (٣/٢٩) أبو يعلى: (١٢٧٥)، (مجمع الزوائد): (١٨٦٤٤)، البيهقي: (في البعث والنشور) (٢٦١) عن أبي سعيد، (صحيح الجامع): (٢١٩٠) .

(٣) ص: (٥٠) .

(٤) الرعد: (٢٣ ، ٢٤) .

(٥) الهمزة: (٥ - ٩) .

بفاكهة كثيرة وشراب ﴾ [١].

كيف تجد تحته معنى بديعًا، وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مفتحة كما هي.

وأما النار فإذا دخلها أهلها أغلقت عليهم أبوابها، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ** ﴾ أي: مطبقة مغلقة، ومنه سمى الباب وصيدًا وهي ﴿ **فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ** ﴾ قد جعلت العمد ممسكة للأبواب من خلفها كالحجر العظيم الذي يجعل خلف الباب [٢].

غرف الجنة:

أعد الله لأهل الإيمان في الجنة غرفًا تجري من تحتها الأنهار محكمة البناء، طباقًا يعلو بعضها بعضًا، مزخرفة من ياقوتة حمراء أو زبرجدة خضراء، أو درة بيضاء، ليس فيها فصم ولا وصل، في غاية الصفاء والنقاء، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، لكونها شفافة لا تحجب ما وراءها، مختلفة في العلو والصفة بحسب اختلاف أصحابها في الأعمال.

قال تعالى: ﴿ **لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ** ﴾ [٣].

وقال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ** ﴾ [٤].

---

(١) ص: (٥٠، ٥١).
(٢) حادي الأرواح: صـ ٥١.
(٣) الزمر: (٢٠).
(٤) العنكبوت: (٥٨).

وعن سهل بن سعد: أن رسول الله (ﷺ) قال: «**إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة كما تراءون الكواكب في السماء**» [(١)].

وروى أحمد عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ﷺ): «**إن المتحابين لترى غرفهم في الجنة كالكوكب الطالع الشرقي أو الغربي، فيقال: من هؤلاء؟ فيقال: هؤلاء المتحابون في الله عزوجل**» [(٢)].

هذه الغرف أعدها الله لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام، والصابرين والمتوكلين، وعموم من آمن بالله وصدق المرسلين.

قال رسول الله (ﷺ): «**إن في الجنة غرفًا يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى والناس نيام**» [(٣)].

وقد جاء في صفة أهل الغرف أن أهل الجنة يرونهم من فوقهم كما يرون النجم الشديد الإضاءة في السماء.

فعن أبي سعيد الخدري عن النبي (ﷺ) قال: «**إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق، من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم**» قالوا: يا رسول الله! تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «**بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله**

---

(١) البخاري: (٦٥٥٥)، مسلم: (٧٠٧١).

(٢) أحمد: (٣/ ٨٧)، (مجمع الزوائد): (١٨٧٧٤)، ضعفه شعيب الأرنؤوطي في المسند.

(٣) أحمد: (٥/ ٣٤٣)، (مجمع الزوائد): (١٨٧٦٦)، ابن حبان: (٥٠٩)، عن أبي مالك الأشعري، (صحيح الجامع): (٢١٢٣).

وصدقوا المرسلين» [(١)].

قصور الجنة:

وعد الله المؤمنين بالله ورسله بمنازل طيبة في الجنة، بناؤها من الذهب والفضة، وملاطها المسك[(٢)] الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران، وأوانيها من الذهب والفضة .

قال الله عزوجل في كتابه يعد أهل الإيمان بحسن المنزل وطيب المسكن في الآخرة: ﴿ **يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [(٣)].

وقد سئل النبي (ﷺ) عن الجنة ما بناؤها فقال: «**الجنة بناؤها لبنة من فضة ولبنة من ذهب، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللولؤ والياقوت، وتربتها الزعفران، من يدخلها ينعم لا يبأس، ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم**» [(٤)].

وقال (ﷺ): «**إن في الجنة جنتين من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتين من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**» [(٥)].

---

(١) البخاري: (٣٢٥٦)، مسلم: (٧٠٧٣) .

(٢) ما يوضع بين اللبنتين .

(٣) الصف: ١٢ .

(٤) الترمذي: (٢٥٢٦)، أحمد: (٢/ ٣٠٥)، (صحيح الجامع): (٣١١٦)، عن أبي هريرة

(٥) البخاري: (٤٨٧٨)، مسلم: (٤٤٧)، الترمذي: (٢٥٢٨)، ابن ماجة: (١٨٦)، عن أبي موسى الأشعري .

قال المباركفوري: قوله: «**إن في الجنة جنتين من فضة آنيتهما وما فيهما**» أي: من القصور والأثاث كالسرر وكقضبان الأشجار، وأمثال ذلك .

وقال أيضًا قوله: «**وجنتين من ذهب آنيتهما وما فيهما**» ثم ظاهره أن جنتين من فضة لا من ذهب، وجنتين بالعكس ، فالجمع بينه وبين حديث صفة بناء الجنة ـ حديث أبي هريرة الذي قبل هذا ـ من أن لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، أن الأول صفة ما في الجنة من آنية وغيرها والثاني صفة حوائط الجنة. ويؤيده أنه وقع عند البيهقي في البعث في حديث أبي سعيد أن الله أحاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة» (١).

قلت: وليس هناك ما يمنع من أن يكون هناك تنوع في قصور الجنة فيكون بعضها من الذهب الخالص، وبعضها من الفضة الخالصة، وبعضها لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، والتنوع وارد لاختلاف الناس في أعمالهم ، فكل إنسان ينزل المنزل الذي يناسب عمله، وذلك أن التفاضل في منازل الجنة يكون بالأعمال، فهناك من يسكن قصور الذهب الخالص، وهناك من يسكن قصور الفضة الخالصة، وهناك من يكون قصره مكونًا من الذهب والفضة معًا، فالجنة مائة درجة، وكل درجة لها أهلها، ولا شك أن كل درجة تختلف في تكوينها، ومحتوياتها عن غيرها والله أعلم .

وقد وصف رسول الله (ﷺ) قصر عمر في الجنة فقال: «**دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لرجل من قريش، فما منعني أن أدخله يا بن الخطاب إلا ما أعلمه من غيرتك**» قال: وعليك

---

(٢) تحفة الأحوزي: (٧/ ٢٤٠) .

أغار يا رسول الله؟» [١].

وعند الترمذي من حديث بريدة، في وصف قصر عمر أيضًا قال: قال رسول الله (ﷺ): « ... **فأتيت على قصر مربع مُشرفٍ من ذهب** ... »[٢].

قال المباركفوري: أي: له شرف، والشرفة من القصر ما أشرف من بنائه[٣].

وعند البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: «**أتى جبريل النبي (ﷺ) فقال: يا رسول الله! هذه خديجة قد أتتك، معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فهي إذا أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها عزوجل ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب**» [٤].

وقوله «بيت من قصب» المراد به قصب اللؤلؤ المجوف، وقيل قصب من ذهب منظوم بالجوهر [٥].

خيام الجنة:

الخيام من جملة مساكن أهل الإيمان في الجنة وهي لا تقل في الروعة والحسن والجمال عن باقي منازل الجنة من الغرف والقصور .

فكما أن الله أعد لعباده في الجنة غرفًا من الياقوت والزبرجد والدر، وقصورًا من الذهب والفضة، زينها وجملها وأبدعها في أحسن صورة، فإنه

(١) البخاري: «٧٠٢٤»، مسلم: «٦١٤٨» عن جابر .
(٢) تحفة الأحوزي: ١٠/ ١٣٣ .
(٣) الترمذي: «٣٦٩٨» عن أبي بريدة ، «صحيح الجامع»: «٧٨٩٤» .
(٤) البخاري: «٣٨٢٠»، مسلم: «٦٢٢٣»
(٥) انظر مسلم لشرح النووي: (١٥/ ١٩٦) .

سبحانه أعد لهم فيها خيامًا لا تقل في الروعة والحسن والإبداع عن غرف وقصور الجنة، أنشأها الله من اللؤلؤ والدر .

قال رسول الله (ﷺ): «**إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤ واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن، فلا يرىٰ بعضهم بعضًا**» [١].

ولفظ الترمذي: «**إن في الجنة لخيمة من درة مجوفة، عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل لا يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن**» .

وقوله (ﷺ) في الحديث الأول: «**طولها ستون ميلاً**» وفي الحديث الثاني: «**عرضها ستون ميلاً**». قال النووي: لا معارضة بينهما فعرضها في مساحة أرضها، وطولها في السماء، أي في العلو متساويان [٢].

سوق الجنة:

وهو مجمع يجتمع فيه أهل الجنة في مقدار يوم الجمعة من كل أسبوع، لا للبيع فيه ولا للشراء، فليس ثَمَّ بيع فيه ولا شراء، وإنما لرؤية ربهم عزوجل .

روىٰ مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك أن رسول الله (ﷺ) قال: «**إن في الجنة لسوقًا يأتونها كل جمعة ، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنًا وجمالاً ، فيرجعون إلىٰ أهليهم، وقد ازدادوا حسنًا وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم،: والله ! لقد ازددتم بعدنا حسنًا**

---

(١) البخاري: «٣٢٤٣» ، مسلم: «٧٠٨٧»، الترمذي: «٢٥٢٨» عن أبي موسى .

(٢) مسلم بشرح النووي: (١٧/ ١٧٤) .

وجمالاً، فيقولون : وأنتم، والله ازددتم بعدنا حسنًا وجمالاً» [١].

وروى الترمذي وابن ماجة واللفظ للترمذي عن سعيد بن المسيِّب: أنه لقي أبا هريرة، فقال أبو هريرة: أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة، فقال سعيد: أفيها سوق؟ قال: نعم، أخبرني رسول الله (ﷺ) : **«أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يؤذن في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون ربهم ويَبْرُزُ لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة،فتوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم وما فيهم دنى على كثبان المسك والكافور ما يُرَوْنَ أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسًا»** .

قال أبو هريرة: قلت: يا رسول الله !وهل نرى ربنا؟ قال: «**نعم، هل تَتَمَارَوْن في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟** قلنا: لا، قال: «**كذلك لا تتمارون في رؤية ربكم، ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله محاضرة حتى يقول للرجل منهم: يا فلان ابن فلان، أتذكر يوم قلت كذا وكذا، فيذكره ببعض غدراته في الدنيا، فيقول: يارب ! أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلى فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه، فبينا هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبًا لم يجدوا مثل ريحه شيئًا قط، ويقول ربنا: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة، فخذوا ما اشتهيتم، فنأتي سوقًا قد حفت به الملائكة، فيه مالم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الآذان، ولم يخطر على القلوب، فيحمل إلينا ما اشتهينا ليس يباع فيه ولا يشترى ، وفي**

---

(١) مسلم: (٧٠٧٥» .

ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضًا، قال: فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه ، وما فيهم دني، فيروعه ما يرى عليه من اللباس، فما ينقضي آخر حديثه حتى يتخيل عليه ما هو أحسن منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها، ثم ننصرف إلى منازلنا ، فتتلقانا أزواجنا فيقلن: مرحبًا وأهلاً لقد جئت وإن لك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه، فيقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار، ويحق لنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا» (١).

أنهار الجنة:

أخبرنا الله في أكثر من موضع من آيات الذكر الحكيم عن أنهار الجنة فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ (٣).

وقد نعت الله الجنة وما فيها من أنهار في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ (٤).

---

(١) الترمذي: «٢٥٤٩»، ابن ماجة: «٤٣٣٦»، «ضعيف الجامع»: «٨٣١».

(٢) يونس: (٩)

(٣) النساء (١٢٢)

(٤) محمد: (١٥).

فأنهار الجنة منها أنهار الماء الصافي الذي لا كدر فيه، لا تتغير رائحته ولا تنتن، ومنها أنهار اللبن الذي هو في غاية البياض والحلاوة والدسامة، لا يتغير طعمه، كما تتغير ألبان الدنيا، ولا يخرج من ضروع الماشية، ومنها أنهار من خمر غير كريهة الطعم والرائحة كخمر الدنيا بل تتصف بحسن منظرها، وطيب طعمها ورائحتها، لا يعصرها الرجال بأقدامهم، ولا تصدع الرأس، ولا تذهب العقول كما هو حال خمر الدنيا، ومنها أنهار من عسل في غاية الصفاء والنقاء، خال من كل شائبة ليس به شمع ولا قذى ولا عكر ولا كدر ، لم يخرج من بطون النحل كعسل الدنيا .

تتشقق هذه الأنهار من بحر الماء ، وبحر العسل، وبحر اللبن، وبحر الخمر كما في الحديث عن معاوية بن حيدة عن النبي (ﷺ) قال: «**إن في الجنة بحر الماء، وبحر العسل، وبحر اللبن، وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار بعد**»[١].

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة يرفعه إلى النبي (ﷺ) «**... فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تتفجر أنهار الجنة**» [٢].

وقد جاء في صفة الكوثر ذلك النهر الذي أعطاه الله لنبيه (ﷺ) في الجنة ما رواه أنس عن النبي (ﷺ) أنه قال: «**دخلت الجنة فإذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ، فضربت بيدي إلى ما يجري فيه الماء، فإذا مسك أذفر، فقلت: ما هذا يا جبريل ؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله**» [٣].

---

(١) أحمد: (٥/ ٥)، الدارمي: «٢٨٣٦»، الترمذي: «٢٥٧١»، «صحيح الجامع» «٢١٢٢».

(٢) البخاري: «٢٧٩٠» عن أبي هريرة .

(٣) أحمد: (٣/ ١٠٣)، البخاري: «٤٩٦٤»، الترمذي: «٣٣٥٩» .

وعن عبد الله بن عمـر قال: قال رسول الله (ﷺ): «**الكوثر نهـر في الجنة حافتاه من ذهب، ومجـراه على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج**» [1].

قال المباركفوري: قوله «**حافتاه من ذهب**» لا تخالف بين هذا وبين قوله «**حافتاه قباب اللؤلؤ**»لأن حافتيه تـكونان من الذهب أما القباب من اللؤلؤ فتكون مبنية عليهما [2].

هذه الأنهار تسرح في كافة أرجـاء الجنة وجوانبها، وتجري تحت منازل أهلها، يصرفونها حيث شاءوا بإذن ربهم .

أشجار الجنة:

أشجار الجنة ذات طبيعة خاصـة شأنها شأن كل ما هو كائن في الجنة، فهي ليست كأشجار الدنيا لا في الطبـيعة ولا في الحجم، ولا تتفق معها في شيء سوى في الاسم فـقط، فأشجار الدنيـا ذات طبيعة زائلة، فانـية لأنها خلقت من طين كـسائر مخلـوقات الدنيا، بينمـا أشجـار الجنة ذات طبيـعة دائمة، فظلها دائم لا ينقطع، ولا تنسخه الشمس، فليس ثم شمس ولا قمر ولا ظلمة، أكلها دائم لا ينقطع، قال تعالى: ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ**﴾ [3].

---

(١) أحـمد: (٢/ ٦٧)، التـرمذي: «٣٣٦١»، ابن مـاجة «٤٣٣٤»، «صـحيح الجـامع»: «٤٦١٥» .

(٢) تحفة الأحوزي: (٩/ ٢٣٨) .

(٣) الرعد: (٣٥) .

وقال تعـالى: ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلاً ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ وفاكهة كثيرة * لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴾[٢].

وروى الطبراني عن ثوبان قال: قال رسول الله (ﷺ): «إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى»[٣].

وقد وصف الحق سبحانه وتعالى عظم أشجار الجنة وسعة ظلها في قوله تعالى: ﴿وظل ممدود﴾[٤].

وفي الصحيحين عن سهل بن سعد عن رسول الله (ﷺ) قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها»[٥]. وفي رواية أبي سعيد الخدري: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها»[٦].

وفي رواية أبي هريرة عند البخاري: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة، واقرءوا إن شئتم ﴿وظل ممدود﴾»[٧].

---

(١) النساء: (٥٧).

(٢) الواقعة: (٣٢، ٣٣).

(٣) الطبراني: في «الكبير» «١٤٤٩»، البزار: «٣٥٣٠»، «مجمع الزوائد: «١٨٧٣١»، «ضعيف الجامع»: «١٤٤٦».

(٤) الواقعة: (٣٠).

(٥) البخاري: «٦٥٥٢»، مسلم: «٧٠٦٩».

(٦) البخاري: «٦٥٥٣»، مسلم: «٧٠٦٩».

(٧) البخاري: «٣٢٥٢».

وقد نعت رسول الله (ﷺ) في حديث الإسراء سدرة المنتهى فقال: « ... **ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها** ... » [١].

وروى الترمذي عن أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعت رسول الله (ﷺ) وذكر سدرة المنتهى قال: «**يسير الراكب في ظل الفنن منها مائة سنة أو يستظل بظلها مائة راكب - شك يحيى - فيها فِراشُ الذهب كأن ثمرها القلال**» [٢].

وجاء في صفة شجرة طوبى ما رواه الإمام أحمد والطبراني عن عتبة ابن عبد السُّلَمي قال: جاء أعرابي إلى رسول الله (ﷺ) فسأله عن الحوض وذكر الجنة ثم قال الأعرابي: يا رسول الله! فيها فاكهة؟ قال: «**نعم، وفيها شجرة تدعى طوبى، طابق الفردوس**»، فقال: أي شجر أرضنا تشبه؟ قال: «**ليس تشبه شيئًا من شجر أرضك، ولكن أتيت الشام؟**»، قال: لا! يا رسول الله، قال: «**فإنها تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة، تنبت على ساق واحد ثم ينتشر أعلاها**»، قال: فما عظم أصلها؟ قال: «**لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك لما قطعتها حتى تنكسر ترقوتها هرمًا**»، قال: فيها عنب؟ قال: «**نعم**»، قال: ما عظم العنقود فيها؟ قال: «**مسيرة شهر للغراب الأبقع لا ينثني ولا يغتر**»، قال: فما عظم الحبة فيه؟ قال: «**هل ذبح أبوك تيسًا من غنمه عظيمًا؟**»، قال: نعم، قال: «**فسلخ أهابه فأعطاه أمك، فقال: ادبغي هذا**

---

(١) مسلم: ٤٠٩: عن أنس ابن مالك .

(٢) الترمذي: (٢٥٤١)، ضعيف الترمذي للألباني (٤٥٨).

ثم افري لنا منه ذنوبًا نروي به ماشيتنا؟»، قال: نعم، قال: فإن تلك الحبة تشبعني وأهل بيتي، فقال النبي (ﷺ): «**وعامة عشيرتك**»[١].

أغصان هذه الأشجار يتشابك بعضها ببعض، وتتصف بالنضارة والحسن والألوان الجميلة وقد قال الله تعالى: ﴿**ذَوَاتَا أَفْنَانٍ**﴾[٢].

قال عطاء الخرساني: الأفنان: أغصان الشجر يمس بعضه بعضًا.

وقال ابن عباس: ﴿**ذَوَاتَا أَفْنَانٍ**﴾: ذواتا ألوان.

وقال عطاء: كل غصن يجمع فنونًا من الفاكهة.

وقال الربيع بن أنس: ﴿**ذَوَاتَا أَفْنَانٍ**﴾: واسعة الفناء.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ بعد أن ذكر هذه الآثار: وكل هذه الأقوال صحيحة ولا منافاة بينها والله أعلم[٣].

وقد ثبت في الحديث أن سيقان هذه الأشجار من ذهب، فقد روى الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): «**ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب**»[٤].

وليس في الجنة أشجار ذات أشواك كما هو الحال في بعض أشجار الدنيا، وما يسمى بهذا الاسم من أشجار الجنة فإن الله يجعل مكان الأشواك ثمارًا. فكما أسلفنا فإن أشجار الجنة لا توافق أشجار الدنيا إلا في

---

(١) أحمد (٤/١٨٣)، والطبراني في الأوسط (٤٠٤)، والكبير (١٧/ ٣١٣)، مجمع الزوائد (١٨٧٢٧) ابن حبان (٦٤٥٠)، البيهقي في البعث والنشور (٣٠٠)، صححه الألباني في السنة لابن أبي عاصم (٧١٦).

(٢) الرحمن: (٤٨).

(٣) التفسير: (٤/٢٧٨).

(٤) الترمذي (٢٥٢٥)، صححه الجامع (٥٦٤٧).

المسمى فقط، قال الله تعالى: ﴿ **وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ * وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ** ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿ **فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ** ﴾، قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وغيرهم: هو الذي لا شوك فيه.

وعن ابن عباس قال: هو الموقر بالثمر.

وقال قتادة: كنا نحدث أنه الموقر الذي لا شوك فيه.

قال الحافظ ابن كثير: والظاهر أن المراد هذا وهذا، فإن سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر، وفي الآخرة على العكس من هذا، لا شوك فيه، وفيه الثمر الكثير الذي قد أثقل أصله[٢]. وفي الحديث عن عتبة بن عبد السلمي قال: كنت جالسًا مع النبي (ﷺ) فجاء أعرابي فقال: يا رسول الله! أسمعك تذكر في الجنة شجرة لا أعلم أكثر شوكًا منها - يعني الطلح - فقال رسول الله (ﷺ): «**يجعل مكان كل شوكة منها خُصْوَةُ التيس الملبود**» -يعني الخصي منها - «**سبعون لونًا من الطعام لا يشبه لون آخر**»[٣].

طعام أهل الجنة وشرابهم:

لقد تظاهرت الأدلة في الكتاب والسنة على أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ويتنعمون بكل ما هو كائن فيها، نعيمًا دائمًا لا ينقطع أبدًا.

---

(١) الواقعة: (٢٧- ٣٠).

(٢) التفسير: (٤/ ٢٨٩).

(٣) الطبراني في الكبير (١٧/ ٣١٨)، مجمع الزوائد (١٨٧٣٠)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٠٣)، قال الهيثمي في المجمع: رجاله رجال الصحيح.

فعن جابر قال: سمعت النبي (ﷺ) يقول: «**إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون ولا يبولون، ولا يتغوطون ولا يتمخطون**»، قالوا: فما بال الطعام؟ قال: «**جشاء ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس**»[(١)].

وعن زيد بن أرقم قال: جاء رجل من اليهود إلى رسول الله (ﷺ) فقال: يا أبا القاسم! تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، قال: «**نعم، والذي نفسي بيده إن الرجل ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والشهوة والجماع**».

فقال اليهودي: إن الذي يأكل ويشرب له حاجة، والجنة مطهرة؟ قال: «**حاجة أحدهم عرق يفيض من جلده كريحة المسك، فإذا بطنه قد ضمر**»[(٢)].

وعن طارق بن شهاب قال: جاءت اليهود إلى النبي (ﷺ) فقالوا: أخبرنا ما أول ما يأكل أهل الجنة إذا دخلوا؟ قال: «**أول ما يأكلون كبد الحوت**»[(٣)].

قال الإمام النووي: مذهب أهل السنة وعامة المسلمين أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، يتنعمون بذلك وبغيره من ملاذ، وأنواع نعيمها تنعمًا دائمًا لا آخر له، ولا انقطاع أبدًا، وأن تنعمهم بذلك على هيئة تنعم أهل

---

(١) مسلم (٧٠٨١)، وأبو داود (٤٧٣٠).

(٢) ابن حبان (٧٤٢٤)، البيهقي في البعث والنشور (٣٥٢)، أحمد (٤/ ٣٦٧)، الطبراني في الأوسط (١٧٤٣)، البزار (٣٥٢٢)، مجمع الزوائد (١٨٧٤٤)، صححه شعيب الأرنؤوط في مسند أحمد.

(٣) الطبراني في الكبير (٨٢٠٨)، مجمع الزوائد (١٨٧٢٦)، قال في المجمع رجاله رجال الصحيح غير إسماعيل بن بهرام وهو ثقة.

الدنيا، إلا ما بينهما من التفاضل في اللذة والنفاسة التي لا يشارك نعيم الدنيا إلا في التسمية، وأصل الهيئة، وإلا في أنهم لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتمخطون، ولا يبصقون[١].

وطعام الجنة وشرابها لا يمكن حصرهما، ذلك أنه لم يرد لهما حصر في الكتاب ولا في السنة، وإنما أشار الحق (سبحانه وتعالى) في مواضع من كتابه إلى جنس البعض من الطعام، والشراب، وفي مواضع أخر عين بعض أنواع الطعام والشراب قال تعالى: ﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ** ﴾، إلى أن قال: ﴿ **فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ** ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ **وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ** ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿ **وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ** ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿ **لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ** ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿ **وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ** ﴾[٦].

فهذه الآيات أشارت إلى بعض أجناس الطعام، لا إلى كل أجناس الطعام، فذكرت جنس الفواكهه، وجنس لحوم الطير، وجنس الثمار، دون تعيين لأنواع الفواكه، وأنواع لحوم الطير، وأنواع الثمار، وذكر الجنس يدل على كثرة الأنواع التي تدخل فيه.

وفي الحديث روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ): «**إن طير الجنة كأمثال البخت ترعى في شجر الجنة**».

فقال أبو بكر: يا رسول الله! إن هذه الطير ناعمة، فقال: «**أكلتها**

---

(١) مسلم بشرح النووي (١٧/ ١٧١).
(٢) الرحمن: (٤٦- ٥٢).
(٣) الطور: (٢٢).
(٤) الواقعة: (٢٠، ٢١).
(٥) الزخرف: (٧٣).
(٦) محمد: (١٥).

أنعم منها» قالها ثلاثًا **«وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها يا أبا بكر»**[١].

وعند الترمذي عن أنس بن مالك قال: سئل رسول الله (ﷺ): ما الكوثر؟ قال: **«ذاك نهر أعطانيه الله يعني في الجنة، أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طير أعناقها كأعناق الجزر»**، قال عمر: إن هذه لنا؟ فقال رسول الله (ﷺ): **«أكلتها أنعم منها»**[٢].

ولقد أجمل الله كل أنواع الطعام والشراب وسائر ملاذ الجنة في قوله: ﴿ **لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ** ﴾[٣]، وقوله: ﴿ **وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ** ﴾[٤].

وفي مواضع أخر من آيات الذكر الحكيم يبين الله بعض صنوف الطعام والشراب وليس كلها ليدل بذلك أنها كثيرة لا تكاد تحصى، فقال تعالى: ﴿ **وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ** ﴾ إلى أن قال: ﴿ **فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ** ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿ **وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ** ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا** ﴾[٧]، وقال تعالى: ﴿ **مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ** ﴾[٨].

فهذه الآيات تعين لنا بعض طعام أهل الجنة وشرابهم.

---

(١) أحمد (٣/ ٢٢١)، مجمع الزوائد (١٨٧٣٣)، صحيح شعيب الأرنؤوط في المسند

(٢) الترمذي (٢٥٤٢)، الصحيحة (٢٥١٤). (٣) ق: (٣٥).

(٤) الزخرف: (٧١). (٥) الرحمن: (٦٢-٦٨).

(٦) الواقعة: (٢٧-٢٩). (٧) النبأ: (٣١, ٣٢) (٨)محمد: (١٥).

فمن الطعام: التمر الذي هو ثمار النخيل، والرمان، والعنب.

ومن الشراب: الماء، واللبن، والخمر، والعسل. وفي الحديث ذكر رسول الله (ﷺ) سدرة المنتهى فقال: «... **ورفعت لي سدرة المنتهى فإذا نبقها كأنه قلال هجر، وورقها كأنه آذان الفيول ...**»(١).

وفي حديث صلاة الكسوف المذكور في الصحيحين عن ابن عباس قال: انكسفت الشمس على عهد رسول الله (ﷺ) فصلى رسول الله (ﷺ) والناس معه - فذكر الصلاة - وفيه قال: قالوا: يا رسول الله! رأيناك تناولت شيئًا في مقامك هذا، ثم رأيناك كففت، فقال: «**إني رأيت الجنة، فتناولت منها عنقودًا لو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ...**»(٢).

وروى الإمام أحمد والطبراني عن عتبة بن عبد السلمي أن أعرابيًا سأل رسول الله (ﷺ) عن الحوض وذكر الجنة - وفي الحديث قال الأعرابي: فيها عنب؟ قال: «**نعم**»، قال: ما عظمة العنقود فيها؟ قال: «**مسيرة شهر للغراب الأبقع لا ينثني ولا يفتر**».

قال: فما عظمة الحبة فيه؟ قال: «**هل ذبح أبوك تيسًا من غنمه عظيمًا؟**»، قال: نعم، قال: «**فسلخ إهابه فأعطاه أمك فقال: ادبغي هذا ثم افري لنا منه ذنوبًا نروي به ماشيتنا؟**»، قال: نعم، قال: فإن تلك الحبة تشبعني وأهل بيتي، فقال النبي (ﷺ): «**وعامة عشيرتك**»(٣).

---

(١) البخاري (٣٢٠٧)، عن مالك بن صعصعة

(٢) البخاري (١٠٥٢)، مسلم (٢١٠٦).

(٣) أحمد (٤/١٨٣)، الطبراني في الأوسط (٤٠٤)، والكبير (١٧/٣١٣)، مجمع الزوائد (١٨٧٢٧)، ابن حبان (٦٤٥٠)، البيهقي في البعث والنشور (٣٠٠)، وصححه الألباني في السنة لابن أبي عاصم (٧١٦).

وطعام أهل الجنة له طبيعة خاصة تميزه عن طعام أهل الدنيا، فهو يتصف بطبيعة الدوام الذي لا ينقطع، قال تعالى: ﴿ **مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا** ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ **وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ** ﴾[٢].

وروى الطبراني والبزار عن ثوبان قال: قال رسول الله (ﷺ): «**إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى**»[٣].

كما أن الثمار تختلف في الحجم والطعم والمذاق عن ثمار الدنيا، وكذلك الشراب في الجنة له صفة الدوام والتميز في الطعم والمذاق والمصدر، وطبيعته بصفة عامة تختلف عن طبيعة شراب الدنيا، قال تعالى: ﴿ **مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى** ﴾[٤]، فالماء لا يتغير ريحه ولا طعمه مهما طال عليه الزمن، فتبقى له صفاته وخصائصه كما هي، وكذلك اللبن لا يتغير طعمه بطول مكثه، ولا يخرج من ضروع الماشية كألبان الدنيا، والخمر لذة للشاربين، ليست كريهة الطعم والرائحة، لا يعصرها الرجال بأقدامهم، ولا تذهب بالعقول كخمر الدنيا، بل هي حسنة المنظر طيبة الطعم والرائحة، قال تعالى: ﴿ **بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ * لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ** ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿ **لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ** ﴾[٦].

---

(١) الرعد: (٣٥).

(٢) الواقعة: (٣٢، ٣٣).

(٣) الطبراني في الكبير (١٤٤٩)، البزار (٣٥٣٠)، مجمع الزوائد (١٨٧٣١)، ضعيف الجامع (١٤٤٦).

(٤) محمد: (١٥).

(٥) الصافات: (٤٦، ٤٧).

(٦) الواقعة: (١٩).

والعسل غـاية في الصفـاء والنقاء وحسن اللون والمـذاق لم يخرج من بطون النحل.

وينعت لنا الحق (سبحانه وتعـالى) الحالة التي يكون عليها أهل الإيمان في الجنة عند تناولهم لطعـامهم وشرابهم في قـوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ * عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ * وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا * إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا * وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ * وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ * وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ * إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا * لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ * ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾[1].

وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا * وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا * قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا * وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا * عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا * إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾[2].

---

(١) الواقعة: (١٠- ٤٠). (٢) الإنسان: (١٢- ٢٢).

وقال تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[١].

فمن جملة هـذه الآيات يبين لنا ربنا سبحانه وتعالى حال أهل الجنة بعد أن نزلوا منازلهم واستقروا فيها، عاليهم ثياب من سندس رقيق أخضر، وإستبرق سميك، كل بما يناسبه، وقد تحلوا بأساور الذهب والفضة، وجلسوا على أسرة منسوجة بالذهب والدر والياقوت والزبرجد، متقابلين وجهًا لوجه، لا يقاسون حرًا ولا بردًا، وقد تدنت عليهم الأغصان فأظلتهم بظلها الدائم الممدود، ومالت عليهم ثمارها اليانعة، فأصبحت في متناولهم يقطفونها على أية حال يكونون عليها بلا تعب ولا مشقة.

ويطوف عليهم وهم على هـذه الحال ولدان مخلدون، على حالة واحدة، وسن واحدة، وصفة واحدة لا يشيبون ولا يهرمون ولا يكبرون ولا يتغيرون، بل هم في نضرة الشباب وروعة الحسن والجمال، إذا رأيتهم حال سعيهم في قضاء حوائج أهل الجنة حسبتهم لكثرتهم وانتشارهم في كل مكان، وجمالهم وحسن ألوانهم وثيابهم كاللؤلؤ المنثور في الصفاء والجمال.

هؤلاء الولدان يطوفون على أهل الجنة بصحاف الذهب والفضة المملوءة بالطعام، وبأكواب وأباريق وكئوس الذهب والفضة التي لها شفافية الزجاج وصفائه ونقائه فيرى ما في باطنها من ظاهرها رغم كونها من الذهب والفضة. هذه الأواني مملوءة بشراب أهل الجنة الذي فيه الماء واللبن والعسل، والخمر الذي يأتيهم تارة صرفًا خالصًا، وتارة ممزوجًا بالكافور، وتارة ممزوجًا بالزنجبيل الذي هو عين في الجنة تسمى سلسبيلا، كل يشرب

(٣) الزخرف: (٧٦).

الشراب الذي يناسبه. وترى هنالك لكل واحد من أهل الجنة ملكًا كبيرًا، ونعيمًا مقيمًا، وحسبك أن أدنى أهل الجنة منزلة ملكه فيها كعشرة أمثال الدنيا.

لباس أهل الجنة وحليهم وفرشهم:

أسلفنا أن الله يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة فإذا دخل أهل النار النار ألبسهم ربهم حللاً من النار وسربلهم بسرابيلها، وإذا دخل أهل الجنة الجنة ألبسهم ربهم من حللها وزينهم بحليها. قال تعالى ينعت ثياب أهل الجنة وحليهم: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً * أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا** ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ** ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ **عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا** ﴾[3].

فلباس أهل الجنة كما بينت الآيات من الحرير الأخضر اللون وقد خص الأخضر بالذكر مع أن الحرير منه الأخضر وغير الأخضر لأنه الموافق للبصر ولكونه أحسن الألوان. والله أعلم.

---

(١) الكهف: (٣٠، ٣١).

(٢) الحج: (٢٣).

(٣) الإنسان: (٢١).

هذه الثياب منها السندس وهو ثياب رقيق، ومنها الإستبرق، وهو ثياب غليظ له بريق يلقي على صاحبه جمالاً وحسنًا.

وفي الحديث عن جابر قال: جاء أعرابي إلى النبي (ﷺ) فقال: ثيابنا في الجنة ننسجها بأيدينا؟ فضحك أصحاب النبي (ﷺ) فقال النبي (ﷺ): «**مم تضحكون؟ من جاهل يسأل عالمًا! لا يا أعرابي، ولكنها تنشق عنها ثمار الجنة**» [1].

وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: أهدي للنبي (ﷺ) حبة سندس، وكان ينهى عن الحرير، فعجب الناس منها، فقال: «**والذي نفسي بيده، لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا**»[2].

وقد جاء في صفة ثياب أهل الجنة أنها لا تبلى أبدًا روى مسلم عن أبي هريرة عن النبي(ﷺ) قال: «**من يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه**» [3].

روى الترمذي عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله(ﷺ) «**أهل الجنة جرد مرد كحلي لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم**»[4].

وأما الحلي فإنها كما بينت الآيات، مادتها الذهب والفضة واللؤلؤ، يلبسونها على شكل سوار، فعن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال: « **تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**»[5].

---

(١) الطبراني في الصغير (١٢٠) أبو يعلى (٢٠٤٦) البزار (٣٥٢٠) مجمع الزوائد (١٨٧٣٥) ضعف إسناده في أبي يعلى (حسين سليم أسد)

(٢) البخاري (٣٢٤٨) مسلم (٦٣٠١). (٣) مسلم (٧٠٨٥).

(٤) الترمذي (٢٥٣٩). (٥) مسلم (٥٨٥) النسائي (١٤٩)

وعنه (ﷺ) أنه قال: « **لو أن ما يقل ظفر مما في الجنة، بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض، ولو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم**»[1].

والظاهر والله أعلم أن الحلي في الجنة لا تقتصر على الذهب والفضة واللؤلؤ وإنما هي أعم من ذلك فيدخل فيها سائر أنواع الحلي ما علم منها ومالم يعلم والشاهد على ذلك قوله تعالى: ﴿**لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**﴾[2].

وقوله﴿**وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ**﴾[3] وتنوع اللباس والحلي في الجنة إنما يدل على كثرة النعيم الذي هيأه الله لأهلها.

ومن البين أن ما كان قد حرمه الله على الرجال في الدنيا من لبس الحرير والذهب قد أحله لهم في الآخرة ففي الصحيح عن أنس قال: قال رسول الله (ﷺ): «**من لبس الحرير في الدنيا، لم يلبسه في الآخرة**»[4].

وعن حذيفة قال: نهى رسول الله(ﷺ) عن لبس الحرير والذهب وقال: «**هو لهم في الدنيا ولنا في الآخرة**»[5].

قال ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ في كتابه حادي الأرواح: وهنا مسألة وهذا موضع ذكرها وهي أنه (سبحانه وتعالى) أخبر أن لباس أهل الجنة حرير، وصح عن النبي (ﷺ) أنه قال: « **من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة**» متفق على صحته، من حديث عمر بن الخطاب وأنس بن

(1) أحمد (171) الترمذي (2538) عن سعد، (صحيح الجامع) (5251)

(2) ق: الآية (35) (3) الزخرف: الآية (71)

(4) مسلم (5392) ابن ماجة (3588) (5) ابن ماجة (3599) صحيح ابن ماجة(891)

مـالك، وقد اختلف في المراد بهـذا الحـديث، فقـالت طائفـة من السلف والخلف: إنه لا يلبس الحـرير في الجنة، ويلبس غـيره من الملابس، قـالوا: وأما قوله تعالى: ﴿ **وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ** ﴾ فمن العام المخصوص.

وقال الجـمهـور: وهذا من الوعيـد الذي له حكم أمثالـه من نصوص الوعيد، التي تدل على أن الفعل مقتض لهذا الحكم، وقد يتخلف عنه لمانع. وقد دل النص والإجمـاع على أن التوبة مانعة من لحـوق الوعيد، ويمنع من لحوقه أيضًـا الحسنات الماحية والمصـائب المكفرة ودعاء المسلمين وشـفاعة من يأذن الله له في الشـفاعة فـيه، وشفـاعة أرحم الراحمين إلـى نفسه، فـهذا الحـديث نظم الحديث الآخـر: «**من شرب الخـمر في الدنيـا لم يشربـها في الآخرة**»[1].

وأما الفرش فقد قال تعالى: ﴿ **مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ** ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ **وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ** ﴾[3].

فأخبر سبـحانه وتعالى أن فرش الجنة بطائنها من الإستبـرق وأنها عالية مرتفعة وقد قيل أنها تتواضع لصاحبها إذا أراد أن يعتليها.

والإستبرق: قيل هو ما غلظ من الديباج.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره:

قال أبو عمـران الجوني: هو الديباج المزين بالذهب، فنبـه على شرف الظهارة بشرف البطانة، فهـذا من التنبيه بالأدنى على الأعلى.

---

(١) حادي الأرواح ص١٨٧.

(٢) الرحمن: (٥٤)

(٣) الواقعة: (٣٤).

ونقل عن مالك بن دينار قوله: ﴿ بطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ وظواهرها من نور، ونحوه عن سفيان الثوري[١].

قال ابن قيم الجوزية في كتابه حادي الأرواح: وهذا يدل على أمرين: أحدهما: أن ظهائرها أعلى وأحسن من بطائنها؛ لأن بطائنها للأرض وظهائرها للجمال والزينة والمباشرة... الآخر: يدل عل أنها فرش، عالية لها سمك وحشو بين البطانة والظهارة وقد روى في سمكها وارتفاعها آثارًا إن كانت محفوظة فالمراد ارتفاع محلها... »[٢].

وأخبر سبحانه وتعالى أن هناك في الجنة البسط والوسائد فقال تعالى: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾[٤].

والرفرف: قيل المراد به المحابس، وقيل: الوسائد.

والعبقري: قيل الزرابي، وقيل: عتاق الزرابي يعني جيدها، وقيل: الديباج، وقيل: هي بسط أهل الجنة، وقيل غير ذلك. والنمارق: قيل هي الوسائد.

والزرابي: قيل هي البسط، ومعنى مبثوثة أي متفرقة في المجالس. وقيل كثيرة، وقيل المبسوطة. قال صديق خان: والظاهر أن معنى البث التفريق مع كثرة، ومنه ﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ﴾[٥] قال القرطبي وغيره هذا أصح[٦].

---

(١) التفسير: (٤/٢٧٨) (٢) حادي الأرواح: ص١٩٥
(٣) الرحمن: (٧٦) (٤) الغاشية: (١٣، ١٦)
(٥) لقمان: (١٠) (٦) فتح البيان: (١٥/٢٠٦).

قال ابن قيم الجوزية: فتأمل كيف وصف الله سبحانه وتعالى الفرش بأنها مرفوعة والزرابي بأنها مبثوثة والنمارق بأنها مصفوفة، فرفع الفرش دال على سمكها ولينها، وبث الزرابي دال على كثرتها، وأنها في كل موضع لا يختص بها صدر المجلس دون مؤخرته، وجانبه، ووصف المساند، يدل على أنها مهيأة للاستناد إليها دائمًا ليست مخبأة تصف في وقت دون وقت. والله أعلم[١].

صفة أهل الإيمان في الجنة:

يتصف أهل الإيمان في الجنة بصفات طيبة تناسب ما حل عليهم من النعيم والرضوان، ومن جملة هذه الصفات نذكر:

١- أنهم يزدادون نورًا على نورهم الذي أعطاهم الله إياه عند مرورهم على الصراط.

فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله(ﷺ): « **إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوأ كوكب دري في السماء لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان، يرى مخ سوقها من وراء اللحم، وما في الجنة عزب**»[٢].

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي(ﷺ) قال: « **إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل مابينهم». قالوا: يا رسول الله! تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال:«بلى» والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**»[٣].

(١) حادي الأرواح: ص١٩٨. (٢) مسلم (٧٠٧٦). (٣) البخاري (٣٢٥٦) مسلم (٧٠٧٣)

وروى أحمد والترمذي عن سعد بن أبي وقاص عن النبي(ﷺ) قال: « **لو أن ما يقل ظفر مما في الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض، ولو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم**»[١].

٢- إنهم لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتمخطون، ولا يتفلون: فعن جابر قال: سمعت النبي(ﷺ) يقول: «**إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتبولون ولا يتغوطون، ولا يتمخطون**». قالوا: فما بال الطعام؟ قال: «**جشاء ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النفس**»[٢].

٣- إنهم لا يسقمون ولا يهرمون ولا يموتون. قال تعالى: ﴿**لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ**﴾[٣].

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي(ﷺ) قال: « **ينادي مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا**». **فذلك قوله عز وجل**: ﴿**وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[٤]»[٥].

وعن أبي هريرة قال: «**من يدخل الجنة ينعم لا ييأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه**»[٦].

٤- إنهم لا ينامون: فعن جابر بن عبد الله قال: سئل النبي (ﷺ) فقيل: يا رسول الله! أينام أهل الجنة؟ فقال رسول الله (ﷺ): «**النوم أخو**

---

(١) الترمذي (٢٥٣٨) أحمد (١/ ١٧١) صحيح الجامع (٥٢٥١).
(٢) مسلم (٧٠٨١) أبو داود (٤٧٣٠). (٣) الدخان: ٥٦ . (٤) الأعراف: ٤٣ .
(٥) مسلم (٧٠٨٦) الترمذي (٣٢٤٦). (٦) مسلم (٧٠٨٥).

الموت، وأهل الجنة لا ينامون»[١].

وعن جابر أيضًا عن رسول الله (ﷺ) قال: «**النوم أخو الموت، ولا يموت أهل الجنة**»[٢].

٥- إنهم يكونون جميعًا في سن واحدة أبناء ثلاث وثلاثين فعن معاذ ابن جبل أن النبي(ﷺ) قال: «**يدخل أهل الجنة الجنة جردًا مردًا مكحولين أبناء ثلاث وثلاثين سنة**»[٣].

٦- إنهم يكونون جميعًا على صورة أبيهم آدم ستون ذرعًا في السماء.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله(ﷺ): «**خلق الله عز وجل آدم على صورة، طوله ستون ذرعًا، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك النفر، وهم نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يجيبونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، قال: فذهب فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، قال: فزادوه ورحمة الله، قال: فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذرعًا، فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن**»[٤].

٧- إنهم لا يصيبهم في الجنة ذل ولا هوان ولا صغار ولا غبرة ولا قترة، بل وجوههم بيضاء نضرة بهية ذات حسن وجمال وإشراق من نضرة النعيم، ومن النظر إلى وجه ربهم الكريم. قال تعالى: ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا**

---

(١) الطبراني في الأرنؤوط الأوسط (٩٢٣) البزار (٣٥١٧) مجمع الزوائد (١٨٧٤٠) الصحيحة (١٠٨٧)

(٢) البيهقي في شعب الإيمان (٤٧٤٥) (صحيح الجامع: ٦٨٠٨).

(٣) الترمذي (٢٥٤٥) أحمد (٥/٢٤٣) صحيح الجامع (٨٠٧٢).

(٤) البخاري (٣٣٢٦) مسلم (٧٠٩٢).

الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾[٣].

٨- إن قلوبهم مطهرة من الحسد والحقد والغل والضغينة والشحناء والبغضاء. قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾[٤] قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[٥].

قال صديق خان: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ هذه من جملة ما ينعم الله به على أهل الجنة، أن ينزع ما في قلوبهم من غل بعضهم على بعض حتى تصفو قلوبهم، ويود بعضهم بعضًا فإن الغل لو بقي في صدورهم كما كان في الدنيا لكان ذلك تنغيص لنعم الجنة لأن المتشاحنين لا يطيب لأحدهم عيش مع وجود الآخر [٦].

وفي الحديث عن أبي هريرة عن النبي(ﷺ) قال: « **أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على آثارهم كأحسن كوكب دري في السماء إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد، لا تباغض بينهم ولا**

---

(١) يونس: (٢٦).

(٢) القيامة: (٢٢، ٢٣).

(٣) المطففين: (٢٤).

(٤) الأعراف: (٤٣).

(٥) الحجر: (٤٧).

(٦) فتح البيان: (٤/ ٣٦٠).

تحاسد، لكل امرئ زوجتان من الحور العين، يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم»[١].

وقد أسلفنا أن أهل الجنة يحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقبض من بعضهم لبعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فيدخلون الجنة وقلوبهم طاهرة نقية من كل ضغينة أو حسد بعد أن زالت بينهم مظالم الدنيا، فلا يحسد أحد أحدًا على ما بينهم من تفاضل في الجنة.

٩- إنهم آمنون في الجنة من العذاب وزوال النعيم، والأمراض والأسقام، والهرم، والخوف، والهم والحزن، والتعب والنصب، والفزع والهلع، والجوع والعطش، والموت وسائر ما يصيب الإنسان من الآفات والمصائب قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ**﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۞ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**﴾[٣].

وقال تعالى في شأن أهل الإيمان: ﴿**فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ**﴾[٤].

نساء الجنة:

إن الله قد جعل لأهل الإيمان في الجنة أزوجًا، ففضلاً عن أزواجهم من بني الإنسان الذين آمنوا معهم وألحقوا بهم في الجنة، فإن الله قد خصهم

(١) البخاري (٣٢٥٤).
(٢) الحجر: (٤٥، ٤٦).
(٣) الدخان: (٥١، ٥٢).
(٤) سبأ: (٣٧).

بأزواج من الحور العين.

والحور: جمع حوراء. والحوراء: البيضاء، قال تعالى ينعت الحور العين: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ والعين: عظام العيون، وقيل حسان العيون، وقيل الشديدات بياض العين، الشديدات سوادها. والجمع بين هذا كله جائز، فالحوراء عينها عظيمة واسعة حسنة، بياضها شديد وسوادها شديد.

والأدلة في الكتاب والسنة تظاهرت على أن لأهل الإيمان في الجنة أزواجًا.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾[5].

---

(١) النساء: (٥٧).

(٢) الصافات: (٤٨، ٤٩).

(٣) الدخان: (٥٤).

(٤) الرحمن: (٥٦، ٥٨).

(٥) الرحمن: (٧٠ - ٧٤).

وقال تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾[١].

وفي الحديث قال رسول الله(ﷺ): « **إن للمؤمن في الجنة لخيمة من اللؤلؤ واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضا**»[٢].

وأخرج مسلم في صحيحه عن محمد بن سيرين قال: إما تفاخروا وإما تذاكروا: الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟ فقال أبو هريرة: أولم يقل أبو القاسم(ﷺ): « **إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوأ كوكب دري في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان، يرى مخ سوقها من وراء اللحم، وما في الجنة عزب**»[٣].

نقل النووي في المنهاج عن القاضي قوله: إن النساء أكثر أهل الجنة. وفي الحديث الآخر أنهن أكثر أهل النار، قال: فيخرج من مجموع هذا أن النساء أكثر ولد آدم، قال: وهذا كله في الآدميات وإلا فقد جاء للواحد من أهل الجنة من الحور العدد الكثير[٤].

قال ابن حجر: واستدل أبو هريرة بهذا الحديث على أن النساء في الجنة أكثر من الرجال، وهو واضح لكن يعارض قوله (ﷺ) في حديث الكسوف: «**رأيتكن أكثر أهل النار**» ويجاب بأنه لا يلزم من أكثريتهن في النار نفي أكثريتهن في الجنة، لكن يشكل على ذلك قوله (ﷺ) في الحديث

---

(١) الواقعة: (٢٢، ٢٣)

(٢) البخاري (٣٢٤٣) مسلم (٧٠٨٧) عن عبدالله بن قيس

(٣) مسلم (٧٠٧٦)

(٤) المنهاج: (١٧/ ١٧٠).

الآخر: «**أطلعت في الجنة فرأيت أقل ساكنها النساء**». ويحتمل أن يكون الراوي رواه بالمعنى الذي فهمه من أن كونهن أكثر ساكني النار يلزم منه أن يكن أقل ساكني الجنة، وليس ذلك بلازم لما قدمته، ويحتمل أن يكون ذلك في أول الأمر قبل خروج العصاة من النار بالشفاعة. والله أعلم[١].

وقال ابن قيم الجوزية بعد أن ساق حديث أبي هريرة المتقدم: قيل هذا يدل على أنهن إنما كن في الجنة أكثر بالحور العين اللاتي خلقهن في الجنة وأقل ساكنها نساء الدنيا، فنساء الدنيا أقل أهل الجنة، وأكثر أهل النار»[٢].

وقد روى الترمذي عن المقدام بن معد كرب قال: قال رسول الله (ﷺ): «**للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له من أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه**»[٣].

وعنه (ﷺ) أنه قال: « **يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع**». قيل: يا رسول **الله!** أو يطيق ذلك؟ قال: « يعطى قوة مائة» [٤].

وعن زيد بن أرقم قال: جاء رجل من اليهود إلى النبي(ﷺ) فقال: يا أبا القاسم! تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، قال: «**نعم، والذي نفسي بيده إن الرجل ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والشهوة**

---

(١) فتح الباري: (٦/ ٣٧٥).

(٢) حادي الأرواح: ص١١٨

(٣) الترمذي (١٦٦١) ابن ماجة (٢٧٩٩) أحمد (٤/ ١٣١) الطبراني في الكبير (٢٠/ ٦٢٩) البيهقي في الشعب (٤٢٥٤) صحيح الجامع (٥١٨٢)

(٤) الترمذي (٢٥٣٦)، (صحيح الجامع ٨١٠٦) عن أنس

والجماع». فقال اليهودي: إن الذي يأكل ويشرب تكون له حاجة، والجنة مطهرة؟ قال: «**حاجة أحدهم عرق يفيض من جلده كريح المسك فإذا بطنه قد ضمر**»[(١)].

ومن جملة هذه الأدلة التي سقناها نجد أن الله تعالى نعت نساء الجنة بصفات طيبه حسنة منها: ١ـ أنهن مطهرات من كل أذىٰ يصيب نساء الدنيا، فقد طهرن من الحيض والنفاس، والبول والغائط، والمخاط والبصاق، وطهرن من الأخلاق السيئة والصفات الذميمة فجمعن بين طهارة البدن وطهارة النفس

٢- أنهن قاصرات الطرف: أي اللاتي لا ينظرن إلىٰ غير أزواجهن، وفي هذا دلالة علىٰ عفتهن وحيائهن، ولهذا فإن الواحدة منهن تقول لزوجها: والله ما في الجنة شيء أحسن منك، ولا في الجنة شيء أحب إلي منك فالحمد لله الذي جعلك لي وجعلني لك.

وقد جاء في الحديث عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: «**لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا، إلا قالت زوجته من الحورالعين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا**»[(٢)].

٣-أنهن عذارىٰ بكارىٰ لم يطأهن أحد قبل أزواجهن، لا من الإنس ولا من الجان، قال تعالىٰ: ﴿**فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ**﴾[(٣)].

---

(١) الطبراني في الأوسط (١٧٤٣) والكبير (٥٠٠٤) أحمد (٤/٣٦٧) البزار (٣٥٢٢) مجمع الزوائد (١٨٧٤٤) وابن حبان (٧٤٢٤) البيهقي في البعث والنشور (٣٥٢) صححه شعيب الأرنؤوط في مسند أحمد.

(٢) أحمد (٥/ ٢٤٢) الترمذي (١١٧٤) ابن ماجة (٢٠١٤) صحيح الجامع (٧١٩٢) عن معاذ

(٣) الرحمن: (٥٦) .

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[١].

٤-أنهن عرب: جمع عروب، وهي العواشق المتحببات المتوددات، المطيعات لأزواجهن، وقيل: حسنة الكلام وقيل: حسنة التبعل، وقيل: العرب اللاتي يشتهين أزواجهن، وكل هذه الأقوال متقاربة المعنى فنساء الجنة يجتمع فيهن كل هذه الصفات الحسنة، لأن الله قد جمع لهن بين حسن الخلق وحسن الخلقة.

٥- أنهن أتراب: أي متساويات في السن متشابهات في الصفة.

ذكر الرازي في تفسيره عن القفال قوله: والسبب في اعتبار هذه الصفة، أنهن لما تشابهن في الصفة والسن والحلية كان الميل إليهن على السوية وذلك يقتضي عدم الغيرة[٢].

٦-أنهن كواعب أي لم يتدلى ثديهن على صدورهن كما يحدث لنساء الدنيا، وإنما تكعبت أثداؤهن وتفلكت، وصارت كالرمان.

قال السعدي في تفسيره الكواعب هي: النواهد اللاتي لم ينكسر ثديهن، من شبابهن وقوتهن ونضارتهن[٣].

وقال الشوكاني: الكواعب: جمع كاعبة: وهي الناهدة يقال كعبت الجارية، تكعبت تكعيبًا وكعوبًا، ونهدت تنهيدًا نهودًا، والمراد أنهم نساء كواعب تكعبت أثداؤهن وتفلكت: أي صارت أثداؤهن كالكعب في صدورهن[٤].

---

(١) الواقعة: (٣٥ ـ ٣٧).
(٢) مفاتيح الغيب: (١٣/ ٣٥٠).
(٣) تيسير الكريم الرحمن: (٥/ ٣٤٥).
(٤) فتح القدير: (٥/ ٣٦٩).

٧- أنهن في صفائهن وحسنهن أشبه بالدر المكنون في أصدافه، فالدر فضلاً عن صفائه ونقائه، وحسنه وشدة بياضه، فإنه مكنون أي محفوظ لمن هو له، لم تعبث به ولم تمسه يد أحد.

وكذلك الحور العين، ففضلاً عن صفائهن ونقائهن وحسنهن وشدة بياضهن، فإن الله قد حفظهن لمن كن له، لم ينظر إليهن ولم يمسهن أحد، فهن مقصورات على أزواجهن، فإذا ما بدت الواحدة منهن لزوجها بهره حسنها وجمالها، كما يبهر الدر المكنون في أصدافه من يراه من حسنه وجماله.

وفي موضع آخر نعتهن الحق تعالى بالياقوت والمرجان. والياقوت: حجر من الأحجار الكريمة لونه في الغالب شفاف مشرب بالحمرة. لو أدخلت فيه سلكًا ثم استصفيته لرأيته من وراءه.

والمرجان: قيل: هو صغار اللؤلؤ، وقيل: كباره وجيده وقيل: نوع من الجواهر أحمر اللون.

وفي الحديث روى الترمذي عن عبدالله بن مسعود عن النبي(ﷺ) قال: **«إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة، حتى يرى مخها، وذلك بأن الله تعالى يقول:﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكًا ثم استصفيته لرأيته من ورائه»**[1].

وحاصل القول أن حور العين أشبه بالياقوت في صفائه وشفافيته، وحمرته، وأشبه بالمرجان في بياضه أو حمرته، فاجتمعت لهن الصفات الجميلة لكل

(١) الترمذي (٢٥٣٣) ضعيف الجامع (١٧٧٦).

من الياقوت والمرجان المتمثلة في الصفاء والشفافية، والبياض المشرب بالحمرة، فأضفى ذلك عليهن حسنًا وجمالاً.

٨-أجمل الحق سبحانه وتعالى نعتهن في قوله: ﴿**فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ**﴾[1].

والخيرات: جمع خيرة، وهي المرأة الصالحة الحسنة الخلق الحسنة الخلقة. وبهذا يكون قد اجتمع لهن الأمران معًا حسن الخلق والخلقة، فصار في باطنهن الخير وفي ظاهرهن الحسن والروعة والجمال.

ولهذا جاء في الحديث عن ابن عمر قال: قال رسول الله(ﷺ): «**إن أزواج الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات سمعها أحد قط، إن مما يغنين:**

نحن الخيرات الحسان. أزواج قوم كرام. ينظرن بقرة أعيان

وإن مما يغنين:

نحن الخالدات فلا يمتنه، نحن الآمنات فلا يخفنه، نحن المقيمات فلا يظعنّه»[2]

وروى الترمذي عن علي قال: قال رسول الله (ﷺ): «**إن في الجنة لمجتمعًا للحور العين، يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها، يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له**»[3] .

---

(١) الرحمن: (٧٠).

(٢) الطبراني في الصغير (٧٣٤) مجمع الزوائد (١٨٧٦٠) صحيح الجامع (١٥٦١).

(٣) الترمذي (٢٥٦٤) ضعيف الجامع (١٨٩٨).

وروى البخاري عن أنس عن النبي(ﷺ) قال: «**غدوة في سبيل أو روحة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحًا، ولنصيفها ـ يعني الخمار ـ خير من الدنيا وما فيها**»[1].

قال الرازي:

قوله تعالى: ﴿**قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ**﴾ صفة لموصوف حذف، وأقيمت الصفة مكانه، والموصوف النساء أو الأزواج كأنه قال: فيهن نساء قاصرات الطرف. وفيه لطيفة: فإنه تعالى لم يذكر النساء إلا بأوصافهن، ولم يذكر اسم الجنس فيهن، فقال تارة: ﴿**وَحُورٌ عِينٌ**﴾ وتارة: ﴿**عُرُبًا أَتْرَابًا**﴾ وتارة: ﴿**قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ**﴾

ولم يذكر نساء كذا وكذا بوجهين:

أحدهما: الإشارة إلى تخدرهن وتسترهن، فلم يذكرهن باسم الجنس لأن اسم الجنس يكشف من الحقيقة مالا يكشفه الوصف، فإنك إذا قلت المتحرك المريد الآكل الشارب لا تكون بينته بالأوصاف الكثيرة أكثر مما بينته بقولك حيوان وإنسان.

آخرهما: إعظامًا لهن ليزداد حسنهن في أعين الموعودين بالجنة، فإن بنات الملوك لا يذكرن إلا بالأوصاف[2].

---

(١) البخاري (٦٥٦٨) الترمذي (١٦٤٨).

(٢) مفاتيح الغيب: (١٥/ ٢٢٢).

رفع الأبناء إلى منزلة الآباء:

إن شفقة الآباء على الأبناء في دار الدنيا تمتد بهم في الآخرة. فبعد ما يدخل الآباء الجنة وينزلون منازلهم فيها، ويأمنون عذاب الله، ويطمئنون في جوار ربهم وكنفه، ويتنعمون في الجنان العاليات بعد أن زال عنهم كل فزع وخوف كان قد أصابهم في أرض المحشر، لم يعد أحد منهم يقول: نفسي نفسي، كما كان يفعل من قبل عند الفصل والقضاء حين كان يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، وإنما يذكر حينئذ كل خليل خليله، فيذكر الآباء الأبناء فيلحقهم الله بهم في الجنة، ويرفعهم إلى منزلة الآباء؛ لأنهم سلكوا مسلكهم في الإيمان بربهم، فيلحق الله الأبناء الأدنى منزلة بالآباء الأعلى منزلة في الجنة دون أن يؤثر ذلك على منزلة الآباء، أو ينقص منها شيئًا، لتقر أعين الآباء بالأبناء في الجنة فيجمع بينهم على أحسن الوجوه، بأن يرفع صاحب المنزلة الأدنى إلى صاحب المنزلة الأعلى.

وهذا من فيض عطاء الله، وجوده وكرمه، وفضله، وامتنانه، ولطفه بخلقه الذين آمنوا به وصدقوا المرسلين. قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ** ﴾[1].

وفي الحديث روى البزار عن ابن عباس، يرفعه إلى النبي (ﷺ) قال: « **إن الله ليرفع ذرية المؤمن إليه في درجته، وإن كانوا دونه في العمل، لتقر بهم عينه** » ثم قرأ: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ** ﴾ الآية، ثم قال: « **وما نقصنا الآباء بما أعطينا البنين** »[2].

---

(١) الطور: ٢١. (٢) البزار (٢٢٦٠) مجمع الزوائد (١١٣٧٠) قال الهيثمي في المجمع: فيه قيس بن الربيع وثقة شعبة والثوري وفيه ضعف.

وروى ابن جرير نحو هذا موقوفًا على ابن عباس، فعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: إن الله تبارك وتعالى ليرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه، ثم قرأ: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ** ﴾[1].

وعن علي رضي الله عنه قال سألتْ خديجة النبي (ﷺ) عن ولدين ماتا لها في الجاهلية، فقال رسول الله (ﷺ): «**هما في النار**» فلما رأى الكراهة في وجهها، قال: «**لو رأيت مكانها لأبغضتهما**» قالت: يا رسول الله! فولدي منك، قال: «**في الجنة**» قال: ثم قال رسول الله (ﷺ): إن المؤمنين وأولادهم في الجنة، وإن المشركين وأولادهم في النار، ثم قرأ رسول الله (ﷺ): ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم** ﴾[2].

وقد اختلف العلماء في المراد بالذرية في هذه الآية هل هم الكبار أم الصغار أم هما معا؟ وقد ذكر العلامة ابن قيم الجوزية - رحمه الله - في كتابه حادي الأرواح الخلاف في هذه المسألة فقال: « اختلف المفسرون في الذرية في هذه الآية، هل المراد بها الصغار أم الكبار أم النوعان؟ على ثلاثة أقوال، واختلافهم مبني على أن قوله: «بإيمان» حال من الذرية التابعين أو المؤمنين المتبوعين.

---

(١) جامع البيان: (٢٧/ ١٥).

(٢) رواه عبدالله بن الإمام أحمد (١/ ١٣٤) هذا الحديث ضعيف. قال ابن الجوزي في جامع المسانيد كما في كنز الأعمال: (٢/ ٥١٢) في إسناده محمد بن عفان لا يقبل حديثه ولا يصح في تعذيب الأطفال حديث، وضعفه الألباني في المشكاة (١١٧) وانظر فتح الباري: (٣/ ٢٨٩، ٢٩٠).

فقالت طائفة: المعنى والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم في إيمانهم فأتوا من الإيمان بمثل ما أتوا به ألحقناهم بهم في الدرجات، قالوا: يدل على هذا قراءة من قرأ: ﴿ **واتبعتهم ذريتهم** ﴾ فجعل الفعل في الاتباع لهم، قالوا: وقد أطلق الله سبحانه الذرية على الكبار، كما قال: ﴿ **ومن ذريته داوود وسليمان** ﴾[1]. وقال: ﴿ **ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ** ﴾[2]. وقال: ﴿ **وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ** ﴾[3]. وهذا قول لكبار العقلاء.

قالوا: ويدل على ذلك ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس يرفعه: «**إن الله يرفع ذرية المؤمن إلى درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه**»[4].

فهذا يدل على أنهم دخلوا بأعمالهم ولكن لم يكن لهم أعمال يبلغون بها درجة آبائهم فبلغهم إياها وإن تقاصر عملهم عنها، قالوا: وأيضا فالإيمان هو القول والعمل والنية، وهذا إنما يمكن من الكبار، وعلى هذا فيكون المعنى أن الله سبحانه يجمع ذرية المؤمن إليه إذا أتوا من الإيمان بمثل إيمانه، إذ هذا حقيقة التبعية، وهذا كما أن زوجات النبي (ﷺ) معه في الدرجة تبعًا، وإن لم يبلغوا تلك الدرجة بأعمالهم.

وقالت طائفة أخرى: الذرية هاهنا الصغار، والمعنى: والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم في إيمان الآباء وإن كانوا صغارًا في الإيمان، وأحكامه من الميراث، والدية، والصلاة عليهم والدفن في قبور المسلمين وغير ذلك، إلا

---

(١) الأنعام: (٨٤).

(٢) الإسراء: (٣).

(٣) الأعراف: (١٧٣).

(٤) انظر تخريج الحديث الصفحة السابقة.

فيما كان من أحكام البالغين. ويكون قوله بإيمان على هذا في موضع نصب على الحال من المفعولين، أي وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان الآباء.

قالوا: ويدل على صحة هذا القول: إن البالغين لهم حكم أنفسهم في الثواب والعقاب، فإنهم مستقلون بأنهم ليسوا تابعين للآباء في شيء من أحكام الدنيا ولا أحكام الثواب والعقاب لاستقلالهم بأنفسهم، ولو كان المراد بالذرية البالغين لكان أولاد الصحابة البالغون كلهم في درجة آبائهم، ويكون أولاد التابعين البالغون كلهم في درجة آباءهم، وهلم جرًا إلى يوم القيامة، فيكون الآخرون في درجة السابقين.

قالوا: ويدل عليه أيضًا أنه سبحانه جعلهم معهم تبعًا في الدرجة كما جعلهم تبعًا معهم في الإيمان، ولو كانوا بالغين لم يكن إيمانهم تبعًا بل إيمان استقلال.

قالوا: ويدل عليه أن الله سبحانه جعل المنازل في الجنة بحسب الأعمال، في حق المستقلين، وأما الأتباع فإن الله سبحانه يرفعهم إلى درجة أهليهم وإن لم يكن لهم أعمال كما تقدم.

وأيضًا فالحور العين والخدم في درجة أهليهم، وإن لم يكن لهم عمل، بخلاف المكلفين البالغين، فإنهم يرفعون إلى حيث بلغتهم أعمالهم.

وقالت فرقة، منهم الواحدي: الوجه: أن تحمل الذرية على الصغار والكبار، لأن الكبير يتبع الأب بإيمان نفسه والصغير يتبع الأب بإيمان الأب قالوا: والذرية تقع على الصغير والكبير، والواحد والكثير، والابن والأب، كما قال تعالى: ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾[1]. أي آباءهم. والإيمان يقع على الإيمان التبعي وعلى الاختياري الكسبي فمن وقوعه على التبعي، قوله: ﴿ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾[2]. فلو أعتق صغيرًا أجاز.

(١) ياسين: (٤١). (٢) النساء: (٩٢).

قالوا: وأقوال السلف تدل على هذا. قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجتهم، وإن كانوا دونه في العمل، لتقر بهم عيونهم، ثم قرأ هذه الآية. وقال ابن مسعود في هذه الآية: الرجل يكون له القدم، ويكون له الذرية، فيدخل الجنة، فيرفعون إليه، لتقر بهم عينه وإن لم يبلغوا ذلك.

وقال أبو مجلز: يجمعهم الله له، كما كان يحب أن يجمعوا في الدنيا.

وقال الشعبي: أدخل الله الذرية بعمل الآباء الجنة.

وقال الكلبي عن ابن عباس: إن كان الآباء أرفع درجة من الأبناء رفع الله الأبناء إلى الآباء، وإن كان الأبناء أرفع درجة من الآباء رفع الله الآباء إلى الأبناء

وقال إبراهيم: أعطوا مثل أجور آبائهم، ولم ينقص الآباء من أجورهم شيئًا.

قال: ويدل على صحة هذا القول: أن القراءتين كالآيتين، فمن قرأ: [**واتبعتهم ذريتهم**] فهذا من حق البالغين الذين تصح نسبة الفعل إليهم، كما قال تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ**﴾[1]. ومن قرأ [**وأتبعناهم ذرياتهم**] فهذا حق الصغار الذين أتبعهم الله إياهم في الإيمان حكمًا، فدلت القراءتان على النوعين.

قلت - كلام ابن قيم الجوزية -: واختصاص الذرية هاهنا بالصغار

(١) التوبة: (١٠٠).

أظهر، لئلا يلزم استواء المتأخرين والسابقين في الدرجات، ولا يلزم مثل هذا في الصغار، فإن أطفال كل رجل وذريته معه في درجته والله أعلم[١].

وما ذهب إليه ابن قيم الجوزية - رحمه الله - من مناصرته لقول من قال: إن المراد بالذرية في الآية هم الصغار هو الأصوب، ذلك أن الله تعالى قد جعل الجنة درجات، كل إنسان مكلف ينال درجته في الجنة بعمله، وليس بعمل غيره أما الصغار فهم تبع لآبائهم إذ ليست لهم أعمال يحاسبون عليها، والله أعلم. هذا فضل الله وجوده وكرمه على الأبناء إذ ينزلهم منازل الآباء في الجنة بسبب إيمان الآباء.

أما فضله تعالى وجوده وكرمه على الآباء فيتمثل في رفع منزلة الأب في الجنة ببركة دعاء الأبناء.

فعن أبي هريرة أن رسول الله(ﷺ) قال: « **إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[٢]. وعند ابن ماجة وغيره عن أبي هريرة قال: قال رسول الله(ﷺ): « **إن الرجل لترفع درجته في الجنة، فيقول: أنى هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك**»[٣].

(١) حادي الأرواح: ص٣٧١

(٢) مسلم (٤١٩٩)، الترمذي (١٣٧٦)، النسائي (٣٦٥٣).

(٣) ابن ماجة (٣٦٦٠) أحمد (٢/٥٠٩) البيهقي في السنن (٧/٧٨) صحيح الجامع (١٦١٧).

شفاعة أهل الجنة لأهل التوحيد في النار:

هذا أيضًا من جملة كرم الله وفضله على أهل الإيمان، فبعدما يأمنون عذاب الله، وتطمئن قلوبهم في الجنة ويوقنون أن الله قد رضي عنهم، ويزول عنهم ما كان قد أصابهم في أرض المحشر من الفزع والهلع والخوف ويتبدل خوفهم أمنًا في جنة عرضها السموات والأرض، يتذكرون إخوانهم الذين كانوا معهم في الدنيا، يشهدون لله بالوحدانية وللرسول بالرسالة، ويصلون ويزكون ويحجون ويصومون، إلا أن سيئاتهم غلبت حسناتهم فدخلوا النار، فيطلبون من ربهم أن يشفعهم فيهم فيشفعهم الله فيهم، ويخرجهم من النار بشفاعتهم فضلاً منه ورحمة.

ففي الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي (ﷺ) قال: «... **إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده، ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا! كانوا يصومون معنا، ويصلون، ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار، فيخرجون خلقًا كثيرًا، قد أخذت النار إلى نصف ساقيه، وإلى ركبتيه، ثم يقولون: ربنا! ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به، فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا! لم نذر فيها أحدًا ممن أمرتنا به، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا ثم يقولون: ربنا! لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدًا. ثم يقول: ارجعوا فما وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا. ثم يقولون: ربنا! لم نذر فيها خيرًا**».

وكان أبو سعيد الخدري يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرءوا

إن شئتم: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾. فيقول رسول الله (ﷺ): «**شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين. فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط، قد عادوا حممًا، فيلقهم في نهر في أفواه الجنة، يقال له نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر، ما يكون إلى الشمس أصيفر أو أخيضر، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض؟**» فقالوا: يا رسول الله! كأنك ترعى بالبادية. قال: «**فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة، هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم. فيقولون: ربنا: أعطيتنا مالم تعط أحدًا من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا؟ فيقولون: ربنا أي شيء أفضل من هذا؟ فيقول رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبدًا**»[1].

وروى الترمذي والحاكم عن عبد الله بن أبي الجدعاء قال: سمعت رسول الله(ﷺ) يقول: «**يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم**»[2].

وروى أحمد والطبراني عن أبي أمامة قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي مثل الحيين ربيعة ومضر**». فقال رجل: يا رسول الله! أوما ربيعة من مضر؟ قال: «**إنما أقول ما أقول**»[3].

---

(١) البخاري (٧٤٣٩) مسلم (٤٥٣)

(٢) الترمذي (٢٤٣٨) والحاكم (٣/٤٠٨) صحيح الجامع (٨٠٦٩)

(٣) أحمد (٢٥٧١٥) الطبراني في الكبير (٧٦٣٨) مجمع الزوائد (١٨٥٤٤) صحيح الجامع (٥٣٦٣)

وروى الطبراني عن جابر قال: قال رسول الله(ﷺ): «**يفتقد أهل الجنة ناسًا كانوا يعرفونهم في الدنيا، فيأتون الأنبياء، فيذكرونهم، فيشفعون فيهم، فيشفعون، يقال لهم: الطلقاء وكلهم طلقاء، يصب عليهم ماء الحياة**»[١].

قدر أمة محمد (ﷺ) في الجنة:

ورد في كثير من الأحاديث أن أكثر سكان الجنة من الأمة المحمدية نذكر منها:

ما رواه الترمذي وغيره عن بريدة قال: قال رسول الله (ﷺ): «**أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون فيها من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم**»[٢].

وفي الصحيحين وغيرهما عن عبد الله بن مسعود قال: كنا مع النبي(ﷺ) في قبة فقال: «**أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟**» قلنا: نعم، قال: «**أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟**»قلنا: نعم، قال: «**أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة؟**» قلنا: نعم، قال:«**والذي نفس محمد بيده، إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة. وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة، وأما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أوكالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر**»[٣]. فدلت هذه الأحاديث على أن

---

(١) الطبراني في الأرنؤوط الأوسط (٣٠٦٨) مجمع الزوائد (١٨٥٢٩) قال الهيثمي في المجمع: إسناده حسن

(٢) الترمذي (٢٥٤٦) ابن ماجة (٤٢٨٩) أحمد (٥/ ٣٤٧) ابن حبان (٧٤٥٩) والحاكم (١/ ٨١) صحيح الجامع (٢٥٢٦)

(٣) البخاري (٦٥٢٨) مسلم (٥٢٩) الترمذي (٢٥٤٧) ابن ماجة (٤٢٨٣) .

أغلب سكان الجنة من الأمة المحمدية نسأل الله العلي العظيم أن يجعلنا منهم.

رؤية الله في الجنة:

هذا من كمال فضل الله وجوده وكرمه وعطائه وامتنانه على أهل الإيمان في الجنة، ففضلاً عما أعطاه لهم من النعم التي لا تعد ولا تحصى، مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، فإنه سبحانه يتفضل عليهم ويتجلى لهم، ويكشف عنهم الحجب فينظرون إلى وجهه الكريم، ويرونه رؤية عين بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب، وذلك خلافًا لما ذهب إليه أهل الزيغ والضلال.

وقد دل على ذلك آيات الكتاب الكريم وأحاديث رسول الله(ﷺ) الصحيحة المتواترة التي لا تشوبها شائبة، ولا يمكن دفعها. فأما الكتاب:

فقد قال الله تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ**﴾[2]. والزيادة: المراد بها النظر إلى وجهه الكريم، فإنها أفضل من جميع ما أعطوه، لا يستحقونها بعملهم، بل بفضل الله ورحمته، وقد صرحت بهذا المعنى الأحاديث الصحيحة كما سيأتي.

وقال تعالى عن أهل الكفر: ﴿**كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**﴾[3].

أي أن الكفار محجوبون عن رؤية الله يوم القيامة. قال الإمام الشافعي

---

(١) القيامة: (٢٢، ٢٣).

(٢) يونس: (٢٦).

(٣) المطففين: (١٥).

رحمه الله: ما حجب الفجار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه (عز وجل). وأما الأخبار الصحيحة المتواترة عن النبي (ﷺ) فمنها:

ما رواه مسلم وغيره عن حديث عن النبي (ﷺ) قال: « **إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل**»، ثم تلا هذه الآيه: ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ**﴾»[1].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن ناسًا قالوا: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله(ﷺ): «**هل تمارون في رؤية القمر ليلة البدر؟**» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «**هل تمارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟**». قالوا: لا يا رسول الله، قال: «**فإنكم ترونه كذلك. يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها. فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفونها. فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه. فيأتيهم الله في صورته التي يعرفونها، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهر جهنم ...**»[2].

وفيهما أيضًا من حديث عبد الله بن قيس عن النبي (ﷺ): «**جنتان من**

(١) مسلم (٤٤٩) الترمذي (٢٥٥٢) ابن ماجة (١٨٧)

(٢) البخاري (٧٤٣٧) مسلم (٤٥٠).

فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن»[١] وروى البخاري عن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله (ﷺ): «**إنكم سترون ربكم عيانًا**»[٢] وروى أيضًا عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله(ﷺ): «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه**»[٣].

وفي حديث سوق الجنة المتقدم من حديث أبي هريرة قال: أخبرني رسول الله (ﷺ): «**أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يؤذن في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون ربهم، ويبرز لهم عرشه، ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة ... ...**»[٤].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة وفيما قدمنا من الأدلة الكفاية.

وليس في الجنة شيء أحب إلى أهلها من النظر إلى وجه ربهم الكريم، ومتى نظروا إلى وجهه سبحانه نسوا نعيم الجنة وانشغلوا عنه بلذة النظر إلى وجه ربهم الكريم التي لا تضاهيها ولا تناظرها لذة.

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في فتاواه: بين النبي (ﷺ) أنهم مع كمال تنعمهم بما أعطاه الله لهم في الجنة، لم يعطهم شيئًا أحب من النظر إليه، وإنما يكون أحب إليهم لأن تنعمهم وتلذذهم به أعظم من التنعم والتلذذ بغيره. فإن اللذة تتبع الشعور بالمحبوب، فكلما كان الشيء أحب إلى

(١) البخاري (٤٨٧٨) مسلم (٤٤٧) الترمذي (٢٥٢٨) ابن ماجة (١٨٦)
(٢) البخاري (٧٤٣٥).
(٣) البخاري (٧٤٤٣) .
(٤) الترمذي (٢٥٤٩) ابن ماجة (٤٣٣٦) ضعيف الجامع (١٨٣١).

الإنسان كان حصوله ألذ له، وتنعمه به أعظم[١].

ولولا أن الله سبحانه وتعالى قد هيأ أهل الإيمان في الآخرة إلى النظر إلى وجهه الكريم لحل بهم ما حل بالجبل حين تجلى له ربه فجعله دكًا.

وقد ذكر القرطبي في تفسيره عن مالك بن أنس أنه قال: لم ير في الدنيا يعني الله لأنه باق، ولا يرى الباقي بالفاني، فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصارًا باقية رأوا الباقي بالباقي.

قال القاضي عياض: وهذا كلام حسن مليح، وليس فيه دليل على الاستحالة إلا من حيث ضعف القدرة، فإذا قوى الله تعالى من شاء من عباده، وأقدره على حمل أعباء الرؤية لم يمنع في حقه[٢].

وقد زعم بعض أهل البدع من المعتزلة والجهمية وغيرهم أن رؤية الله محالة في الدنيا والآخرة، مستدلين على ذلك ببعض الأدلة التي أخطئوا تأويلها ومنها قوله تعالى: ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾[٣].

وقوله تعالى لموسى عليه السلام حين طلب رؤيته: ﴿**لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا**﴾[٤].

فزعموا أن الأبصار لا تدركه في الدنيا ولا في الآخرة، وأن حرف[**لن**] لنفي التأبيد، وعليه لا يرى الله لا في الدنيا ولا في الآخرة، إلى غير ذلك

---

(١) الفتاوى: (١/ ٢٦).
(٢) الجامع لأحكام القرآن: (٣/ ٢٥٧٨).
(٣) الأنعام: (١٠٣).
(٤) الأعراف: (١٤٣).

من الأدلة التي تمسكوا بها مخالفين في ذلك أهل السنة والجماعة، وفاتهم التمسك بالأدلة الواردة في الكتاب والسنة التي لا تدع مجالاً للشك في رؤيته سبحانه في الآخرة، وتقطع بأن المؤمنين سيرون ربهم في الدار الآخرة رؤية عين كما يرون القمر ليلة البدر وكما يرون الشمس ليس دونها سحاب.

وقد ذكر الإمام أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - في كتابه الإبانة بابًا في إثبات رؤية الله تعالى بالأبصار في الآخرة فقال: قال الله عز وجل: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ يعني مشرقة، ﴿ **إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾(١).

يعني رائية، وليس يخلو النظر من وجوه نحن ذاكروها:

١- إما أن يكون الله عز وجل عني نظر الاعتبار، كقوله تعالى ﴿ **أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ** ﴾(٢).

٢- أو يكون عني نظر الانتظار كقوله تعالى: ﴿ **مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً** ﴾(٣).

٣- أو يكون عني نظر تعطف كقوله تعالى: ﴿ **وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾(٤).

٤- أو يكون عني نظر الرؤية. فلا يجوز أن يكون الله عز وجل عني نظر التفكير والاعتبار، لأن الآخرة ليست بدار اعتبار، ولا يجوز أن يكون

---

(١) القيامة: (٢٢، ٢٣).

(٢) الغاشية: (١٧).

(٣) يس: (٤٩).

(٤) آل عمران: (٧٧).

عني نظر الانتظار لأن النظر إذا ذكر مع ذكر الوجه فمعناه نظر العينين اللتين في الوجه، كما إذا ذكر أهل اللسان نظر القلب، فقالوا: انظر في هذا الأمر بقلبك، لم يكن معناه نظر العينين، ولذلك إذا ذكر النظر مع الوجه لم يكن معناه نظر الانتظار الذي بالقلب، وأيضًا فإن نظر الانتظار لا يكون في الجنة، لأن الانتظار معه تنغيص وتكدير وأهل الجنة لهم في الجنة: « **ما لا عين رأت ولا أذن سمعت**»[1]، من العيش السليم والنعيم المقيم وإذا كان هذا هكذا، لم يجز أن يكونوا منتظرين؛ لأنهم كلما خطر ببالهم شيء أتوا به مع خطوره ببالهم، وإذا كان ذلك كذلك، فلا يجوز أن يكون الله عز وجل أراد نظر التعطف، لأن الخلق لا يجوز أن يتعطفوا على خالقهم، وإذا فسدت الأقسام الثلاثة، صح القسم الرابع، من أقسام النظر، وهو أن معنى قوله: ﴿**إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ أنها رائية ترى ربها عز وجل.

ومما يبطل قول المعتزلة: أن الله عز وجل أراد بقوله: ﴿**إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ نظر الانتظار، أنه قال: ﴿**إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ ونظر الانتظار لا يكون مقرونًا بقوله ﴿**إِلَىٰ**﴾ ولأنه لا يجوز عند العرب أن يقولوا في نظر الانتظار إلى، ألا ترى أن الله عز وجل لما قال: ﴿**مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً**﴾ لم يقل إلى، إذ كان معناه الانتظار. وقال عن بلقيس: ﴿**فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ**﴾[2]. فلما أرادت الانتظار لم تقل إلى.

وقال امرؤ القيس:

فإنكما إن تنظراني ساعة ... من الدهر تنفعني لدى أم جندب

فلما أراد الانتظار لم يقل: ﴿**إِلَى**﴾ فلما قال عز وجل: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا

(١) البخاري (٣٢٤٤) مسلم (٢٨٢٤).   (٢) النمل: (٣٥).

نَاظِرَةٌ﴾ علمنا أنه لم يرد الانتظار، وإنما أراد نظر الرؤية. ولما قرن الله النظر بذكر الوجه أراد نظر العينين اللتين في الوجه، كما قال: ﴿**قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا**﴾[1].

فذكر الوجه، وإنما أراد تقلب عينيه نحو السماء ينتظر نزول الملك عليه بصرف الله له عن قبلة بيت المقدس إلى الكعبة.

فإن قال قائل: لم تقولون: إن قوله: ﴿**إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ إنما أراد إلى ثواب ربها ناظرة.

قيل له: ثواب الله عز وجل غيره تعالى. والله تعالى قال: ﴿**إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ ولم يقل: إلى غيره ناظرة، والقرآن على ظاهره وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا لحجة وإلا فهو على ظاهره، ألا ترى أن الله عز وجل لما قال صلوا لي واعبدوني لم يجز أن يقول قائل: إنه أراد غيره، ويزيل الكلام عن ظاهره، فلذلك لما قال: ﴿**إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ لم يجز لنا أن نزيل القرآن عن ظاهره بغير حجة. ثم يقال للمعتزلة: إن جاز لكم أن تزعموا أن قول الله عز وجل: ﴿**إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ إنما أراد به أنها إلى غيره ناظرة فلم لا جاز لغيركم أن يقول: إن قول الله عز وجل: ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**﴾[2].

أراد بها لا تدرك غيره ولم يرد أنها لا تدركه؟ وهذا مالا يقدرون على الفرق فيه.

---

(١) البقرة: (١٤٤).

(٢) الأنعام: (١٠٣).

٣- ودليل آخر:

ومما يدل على أن الله تعالى يرى بالأبصار قول موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾[١].

ولا يجوز أن يكون موسى عليه السلام الذي قد ألبسه الله تعالى جلباب النبيين، وعصمه بما عصم به المرسلين قد سأل ربه ما يستحيل عليه، وإذا لم يجز ذلك على موسى فقد علمنا أنه لم يسأل ربه مستحيلاً، وأن الرؤية جائزة على ربنا عز وجل.

ولو كانت الرؤية مستحيلة على ربنا كما زعمت المعتزلة ولم يعلم ذلك موسى عليه السلام، وعلموهم، لكانوا على قولهم أعلم بالله من موسى عليه السلام، وهذا مالا يدعيه مسلم.

فإن قال قائل: ألستم تعلمون حكم الله في الظهار اليوم؟ ولم يكن نبي الله (ﷺ) يعلم ذلك قبل أن ينزل؟ قيل له: لم يكن يعلم نبي الله (ﷺ) ذلك قبل أن يلزم الله القياد حكم الظهار، فلما لزمهم الحكم به أعلم نبيه قبله، ثم أعلم نبي الله عباد الله ذلك، ولم يأت عليه وقت لزمه حكمه، فلم يعلمه عليه السلام.

وأنتم زعمتم أن موسى عليه السلام كان قد لزمه أن يعلم حكم الرؤية، وأنها مستحيلة عليه، وإذا لم يعلم ذلك وقت أن لزمه علمه، وعلمتموه أنتم الآن، لزمكم بجهلكم أنكم بما لزمكم العلم به الآن أعلم من موسى عليه السلام بما لزمه العلم به، وهذا خروج عن دين المسلمين[٢].

---

(١) الأعراف: (١٤٣).

(٢) الإبانة عن أصول الديانه: ص٦٥وما بعدها.

ثم ذكر ـ رحمه الله ـ جملة من الأدلة الأخرى على بطلان قول المعتزلة ومن ذهب مذهبهم، وتلقى بما ذكرناه هنا، ومن أراد الوقوف على باقي هذه الأدلة فليرجع إلى كتاب الإبانة.

وقد ذكر الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ في كتابه حادي الأرواح جملة من الوجوه في الرد على أولئك الذين زعموا أن قوله تعالى لموسى عليه السلام ﴿**لن تراني**﴾ تفيد عدم الرؤية في الدنيا والآخرة:

أحدهما: أنه لا يظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه مالا يجوز عليه، بل هو من أبطل الباطل، وأعظم المحال، وهو عند فروخ اليونان والصابئة الفرعونية بمنزلة أن يسأله أن يأكل ويشرب وينام ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه، فبالله العجب كيف صار أتباع الصابئة والمجوس والمشركين عباد الأصنام وفروخ الجهمية والفرعونية أعلم بالله تعالى من موسى بن عمران وبما يستحيل عليه ويجب له، وأشد تنزيهًا له منه؟!!

الوجه الثاني: أن الله سبحانه وتعالى لم ينكر عليه سؤاله ولو كان محالاً لأنكره عليه، ولهذا لما سأل الخليل إبراهيم ربه تبارك وتعالى أن يريه كيف يحيي الموتى لم ينكر عليه، ولما سأل عيسى ابن مريم ربه إنزال المائدة من السماء لم ينكر سؤاله، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله وقال: ﴿**إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[1].

الوجه الثالث: أنه أجابه بقوله: ﴿**لن تراني**﴾ ولم يقل: لا تراني، ولا

---

(١) هود: (٤٦، ٤٧).

أني لست بمرئي، ولا تجوز رؤيتي، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله. وهذا يدل على أنه تعالى يُرى، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى يوضحه الوجه الرابع.

الوجه الرابع: وهو قوله: ﴿**انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي**﴾[1]. فأعلمه أن مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له في هذه الدار، فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف؟

الوجه الخامس: إن الله تعالى قادر على أن يجعل الجبل مستقرًا مكانه، وليس هذا بممتنع في مقدوره، بل هو ممكن وقد علق به الرؤية، ولو كانت الرؤية محالاً في ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته، ولو كانت الرؤية محالاً لكان ذلك نظير أن يقول: إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام فالأمران عندكم سواء.

الوجه السادس: قوله سبحانه وتعالى: ﴿**فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا**﴾ وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى، فإنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لاثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته ويريهم نفسه، فأعلم سبحانه وتعالى موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذا الدار، فالبشر أضعف.

الوجه السابع: أن ربه سبحانه وتعالى قد كلمه منه إليه وخاطبه وناجاه وناداه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم أن يسمع مخاطبة كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار التكليم، وقد جمعت هذه

---

(١) الأعراف: (١٤٣).

الطوائف بين إنكار الأمرين، فأنكروا أن يُكلم أحدًا أو يراه أحدٌ، ولهذا سأله موسى النظر إليه لما أسمعه كلامه، وعلم نبي الله جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه فلم يخبره باستحالة ذلك عليه، ولكن أراه أن ما سأله لا يقدر على احتماله كما لم يثبت الجبل لتجليه.

وأما قوله تعالى: ﴿**لن تراني**﴾ فإنما يدل على النفي في المستقبل، ولا يدل على دوام النفي، ولو قيدت بالتأبيد فكيف إذا أطلقت، قال: ﴿**وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا**﴾[1]. مع قوله تعالى: ﴿**وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ**﴾[2][3].

وقد قال الإمام النووي رحمه الله: علم أن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيله عقلاً، وأجمعوا أيضًا على وقوعها في الآخرة، وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين.

وزعمت طائفة من أهل البدع، المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة، أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه وأن رؤيته مستحيلة عقلاً، وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح.

وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة، وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين، ورواها نحو من عشرين صحابيًا عن رسول الله (ﷺ) ،وآيات القرآن فيها مشهورة. واعتراضات المبتدعة عليها لها أجوبة مشهورة في كتب المتكلمين من أهل السنة، وكذلك باقي شبههم، وهي مستقصاة في كتب الكلام، وليس بنا

---

(١) البقرة: (٩٥) .

(٢) الزخرف: (٧٧)

(٣) حادي الأرواح: صـ ٢٦٧ وما بعدها .

ضرورة إلى ذكرها هنا.

وأما رؤية الله تعالى في الدنيا، فقد قدمنا أنها ممكنة، ولكن الجمهور من السلف والخلف، من المتكلمين وغيرهم أنها لا تقع في الدنيا. وحكم الإمام أبو القاسم القشيري في رسالته المعروفة عن الإمام أبي بكر بن فورك، أنه حكى فيها قولين للإمام أبي الحسن الأشعري، أحدهما وقوعها والآخر: لا تقع.

ثم مذهب أهل الحق، أن الرؤية قوة يجعلها الله تعالى في خلقه ولا يشترط فيها اتصال الأشعة، ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك لكن جرت العادة في رؤية بعضنا بعضًا، بوجوب ذلك على جهة الاتفاق لا على سبيل الاشتراط، وقد قرر أئمتنا المتكلمون ذلك بدلائله الجلية، ولا يلزم من رؤية الله تعالى إثبات جهة تعالى عن ذلك، بل يراه المؤمنون لا في الجهة كما يعلمونه، والله أعلم[1].

---

(١) مسلم بشرح النووي: (٣/١٨).

الفهرست



المنصورة ت / ٢٢٣٣٨٦٧